الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد

UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص لسانيات عربيّة

المـوضـوع:

أشتات مجتمعات في اللغة والأدب لعباس محمود العقاد -قراءة لغويّة تحليليّة-

إعداد الطالبة: عرباوي زليخة

إشـراف الأستاذ: أ.د محمد مرتاض

لجنـة المنـاقشـة

الدكتورة	شيّادي نصيرة	رئيسة
الدكتورة	سعيدي منال	ممتحنة
الأستاذ الدكتور	مرتاض محمد	مشرفا ومقرّرا

السنة الجامعية :1441 - 1442هـ /2019 – 2020م

شكر وعرفان

الشّكر لله الذي أوصلني إلى هذا اليوم وجعل المسبّبات والأسباب لهذا النّجاح

ففي مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخطّ الحروف ليجمعها في كلمات

و تتبعثر الأحرف وعبثاً أن يحاول تجميعها في سطور

سطوراً كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى في نهاية المطاف إلّا قليل من الذكريات

ولا يفوتني أن أشكر من وضعهم الله لي سببا لنجاحي في هذا العمل

وأخصّ بالجزيل الشكر والعرفان إلى من أشعل شمعة في دروب عملي

وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربي

إلى الدّكتور و الأستاذ الكريم الذي أتوه بالشّكر الجزيل إليه

مرتاض محمّد

الّذي تفضّل بإشراف على هذا البحث فجزاه الله عنّي كل خير فله منّي كل التّقدير والاحترام

كما أتوجّه بالشّكر الجزيل لأسرة قسم اللّغة والأدب العربي

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَ قُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمؤْمِنُون)

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب اللّيل إلاّ بشكرك ولا يطيب النّهار إلّا بطاعتك.. ولا تطيب اللّحظات إلّا بذكرك ..

إلى من بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة .. و نصح الأمّة.. إلى نبيّ الرّحمة ونور العالمين..

سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم

إلى بسمة الحياة..إلى من كان دعاؤهما سرّ نجاحي.. إلى من كللهما الله بالهيبة والوقار

والديّ العزيزين

إلى من بوجودها أكتسب قوّة ومحبّة لا حدود لها

أختي

إلى من كان ملاذي إلى ينابيع الصّدق الصّافي إلى من معه سعدت و كان معي على طريق النّجاح

زوجي

إلى ملاكي في الحياة .. إلى ابتسامتي ونبضة قلبي.. إلى من عرفت معها معنى الأمومة

ابنتي الصغيرة

مقدّمة

مقدّمة:

1-تقديم الموضوع:

لا ريب في أنّ اللّغة من أجلّ ما حبا الله –سبحانه وتعالى– به البشر، فهي من أهمّ وسائل التّواصل بين مجتمعات العالم، وهي العلم الأكثر بحثا فيه بين العلماء باعتبارها جزءًا من التّراث الإنساني بعامّة لقدمها، ولأنّها خلقت مع الإنسان، فاللّغة نعبّر بها عمّا يخالج أنفسنا لنوصله إلى الآخرين، ولغات العالم كثيرة منها: اللّغات الأجنبيّة واللّغات السّامية الّتي منها اللّغة العربيّة؛ هذه اللّغة بحث فيها العديد من العلماء والباحثين حيث اعتبروها لغة العالم واللغة الأمّ ممّا أدّى إلى وجود خلافات فيما بينهم.

وبالمقارنة بين ما تحمله اللّغة العربيّة في قواعدها واللّغات الأخرى فإنّ لغتنا غنيّة وواسعة في مجالاتها العلميّة والمعرفيّة، ولحاجتنا إلى هذه اللّغة نسعى للإلمام بها وفق خصائصها ووظائفها وقواعدها الأكثر دراسة وبحثا كمسائل النّحو والتي نجدها ضعيفة جدّا في لغات العالم، فالنّحو محور أساس في تركيب الجملة العربيّة، لأنّه يسعى إلى بيان مفهوم المعنى الذي تحمله الكلمة لارتباطها بمجموعة من الكلمات في جملة مفيدة.

وحفل كتاب العقاد « أشتات مجتمعات في اللغة والأدب » بقضايا لغويّة وأدبيّة، أثارت اهتمام كلّ من قرأه، فالعقّاد بعبقريّته وثقافته الموسوعيّة استطاع أن يُثير جوانب جديدة تتعلّق باللغة العربيّة وآدابها.

2–الأسباب الموضوعيّة والذّاتيّة للاختيار:

أمّا عن المحفزات التي جعلتني أختار دراسة موضوع أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب لعبّاس محمود العقّاد، فتمثّلت في:

-إنّه كُتِبَ للّغة العربية الخلود بنزول القرآن الكريم الذي أمدّها بمادّة لغويّة غزيرة وطبعها بطابع خاصّ فيه العموميّة والشّمول.

-ميلي إلى مسائل النّحو ورأي العقاد فيه مقارنة باللغات الأخرى، لأنّ النّحو له قواعد عديدة تجلب الدّارس والباحث في التّعمّق فيها.

3-إشكاليّة البحث:

وعلى هذا الأساس جاء بحثي ليطرح عدّة تساؤلات منها:

-ما مكانة اللّغة العربيّة بين اللّغات الأخرى؟

-ما الخصائص الّتي تمتاز بها عن غيرها؟

-ما مدى أهمّية النّحو في تركيب الجمل العربيّة؟

4-خطّة البحث:

وللإجابة على هذه الأسئلة قسّمت بحثي إلى ثلاثة فصول مسبوقة بمقدّمة ومذيّلة بخاتمة ،وبقائمة المصادر والمراجع وفهرس للمواد.

فكان الفصل الأوّل موسوما "لمحة عن الكتاب" الذي يمثّل الشّق الشامل للكتاب وتضمّن ثلاثة عناوين: جاء في العنوان الأوّل لمحة عامّة له ثمّ تناولناه ووصفناه شكلا ومضمونا وذكرنا كلّ ما يتعلّق به في العنوانين الآخرين.

أمّا الفصل الثّاني فعنوانه "جوانب من المباحث اللّغويّة في الكتاب" وهو يمثّل الشّقّ النّظري من البحث، وضمّ خمسة عناوين مرتّبة كالآتي: أوّلا:أقدم اللّغات، ثانيا: عوامل الإعراب في اللّغة العربيّة،

ثالثا: الحروف العربيّة أصلح الحروف لكتابة اللّغات، رابعا: الحروف والمعاني في اللّغة العربيّة، خامسا: تيسير على قاعدة.

أمّا الفصل الثالث فبحثت فيه"الدّراسة اللّغويّة للكتاب"وتمثّلت بمقارنة بين اللّغات، هذا الشّقّ التّطبيقي من البحث، وتضمّن سبعة عناوين هي: أوّلا: الجملة الاسميّة، ثانيا: الفاعل في اللّغة العربيّة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول، ثالثا: مقارنة لغويّة في ضمائر الجنس والعدد، رابعا: الصّفة في اللّغة العربيّة، خامسا: الظّرف في اللّغة العربيّة، سادسا: أوزان الشّعر العربي، سابعا: اللّغة العربيّة بين لغات الحضارة العصريّة.

وختمت البحث بمجموعة من النّتائج جاءت حصيلة لما توصّلت إليه.

5-منهج البحث:

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي، لوصف الكتاب وما يحمله من معلومات كما تطرّقت إليه في الفصل الأوّل، والاستقرائي لدراسة كتاب العقّاد والوقوف عند كلّ جانب من جوانبه اللّغويّة وهذا ذكرته في الفصلين الثّاني والثّالث.

6-أهمّ المصادر والمراجع:

وظّفت في إنجاز هذا البحث جملة من المصادر والمراجع أهمّها:

-أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب لعبّاس محمود العقّاد.

-النّحو الوافي لعبّاس حسن.

-جامع الدّروس العربيّة للشّيخ مصطفى الغلاييني.

-قواعد اللّغة العربيّة لفؤاد نعيمة، وغيرها من المراجع التي تخدم موضوع بحثنا.

7-الصعوبات:

وقد واجهت بعض الصّعوبات منها قلّة المصادر والمراجع التي اهتمّت بهذا الموضوع كونه لم يُتَدَاوَلْ من قبل، إضافة إلى بعض العراقيل الّتي لم تسمح لي بالبحث في المكتبة الجامعيّة وجمع المادّة للظّروف المعروفة عالميّا.

8-الشكر للمشرف:

وفي الأخير لا يسعني إلّا أن أحمد الله وأشكره على توفيقه في إنجاز هذا البحث وأتقدّم بالشّكر الجزيل وكلّ عبارات الامتنان للأستاذ الدّكتور " محمّد مرتاض" الذي أشرف على هذه المذكّرة وأثراها بنصائحه وإرشاداته القيّمة فتحيّة إكبار وإجلال لك يا أستاذ.

سيدي بلعباس في: 01محرّم 1442هـ/20 أوت 2020م

زليخة عرباوي

الفصل الأوّل

لمحة عن الكتاب

لمحة عن الكتاب:

أوّلا: لمحة عن الكاتب:

إنّ اللّغة العربيّة من اللّغات الحيّة السّاميّة في العالم والّتي تُوِّجَت من طرف العديد من اللّغويّين، فاهتمّ بعضهم بأقدميّتها من بين اللّغات الأخرى ومنهم: الدّكتور عبّاس محمود العقّاد في كتابه "أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب"، فهو شاعر وأديب وناقد أدبي حيث أصبح من الأعلام البارزة في الأدب العربي الحديث، كما عمل كصحفيّ وبعد انتهائه من هذا العمل اهتمّ بكتابة المقالات والمقامات، ومن مؤلّفاته المتعدّدة: العبقريّات، المرأة في القرآن، التّفكير فريضة إسلاميّة، جميل بثينة، وغيرها.

ثانيا: الشّكل الخارجي للكتاب:

والطّبعة المعتمدة لهذا الكتاب هي طبعة دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، سنة 1963، عدد صفحاته 149 صفحة، ذو حجم وسمك صغيران، وبالنّسبة للونه فهو اللون الأصفر الفاتح يحمل على واجهته الأماميّة "اسم المؤلّف"و"عنوان الكتاب"و"دار النّشر" ولا يحمل صورة على غلافه.

وهو في أصله مقالات متفرّقة اهتمّت بالجانب اللّغوي و الأدبي إلّا أنّه اهتمّ أكثر باللّغة، فجمع في محتواها مسائل النّحو الّتي تمثّلت بمسألة العامل وتقديره على مواقع الإعراب، وهي أجمع مسائل النّحو لبحوثه المختلفة لأنّ النّحو يهتمّ بأواخر الكلمات واختلاف الحركات من ظاهرة إلى مقدّرة، وهذا ما أثبته القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة الشّريفة لأنّهما ثابتان.

ولقد درس هذه المسائل ودعّمها وأضاف إليها دراسات أخرى، إلى أن رآها ناضجة للتّداول بين الدّارسين والأخذ بها، وقدّمها لنا على شكل كتاب.

وقد كان اختيار الدّكتور عبّاس العقّاد لهذا العنوان "أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب" تأثّرا باللّغة العربيّة ومكانتها بين اللّغات الأخرى الّتي قد تؤدّي رسالة العلم والثّقافة في القرن الذي نعيشه.

ثالثا: الشّكل الدّاخلي للكتاب:

ويدور مضمون هذا الكتاب حول بحث أدبي علمي يقارن فيه اللّغة العربيّة باللّغات الأوربيّة، فركّز فيه المؤلّف على قدم اللّغة العربيّة وما تحمله من قواعد وضوابط ثابتة لأنّ الدّارسين القدامى قد أخطؤوا كثيرا، وذلك لعدم اكتسابهم لها فحركة التّرجمة عندهم في الوقت الحالي من اللّغات العالميّة متدهورة و مضطربة.

وقد حاول فيه بيان أهميّة اللّغة العربيّة وما تحمله من ثروة ثمينة، وبداءتها في كلّ حركة وكلّ نهضة وهذا خطأ التّرجمة، فهي تستوفي للنّهوض بوظيفتها عدّة كاملة تتجمّع من العلم باللّغتين ومن العلم بموضوع المعرفة الّذي ينقلها المترجم من لغة إلى أخرى.

كما اهتمّ بالنّحو وذكر كلّ ما يتضمّنه لبناء وتركيب الجمل والكلمات وبيّن لنا الفرق بين اللّغة العربيّة واللّغات الأوربيّة، فاللّغة العربيّة تمتاز بقواعدها الكثيرة وهذا ما سنراه في دراستنا المقارنة وهذا عكس اللّغات الأخرى الّتي تحمل قاعدة واحدة في بعض مسائلها.

وقد برهن أقواله وآراءه بما تضمّنه الكتاب من عناوين مهمّة حتّى توصّل إلى الهدف المراد وإلى توعية النّاس بأنّ اللّغة العربيّة هي اللّغة الأمّ و اللّغة الأقدم من بين اللّغات، ويجب الحفاظ عليها وتطوّرها لبقائها هي الأولى.

وقسّم مضمون كتابه إلى تسعة عشر موضوعا معنونة كالتّالي: "أقدم اللّغات"،"قدم الكتابة بالعربيّة"،"عوامل الإعراب في اللّغة العربيّة"،"الحروف العربيّة أصلح الحروف لكتابة اللّغات"،"الحروف والمعاني في اللّغة العربيّة"،"تيسير على قاعدة"،"من المقارنة بين اللّغات – الجملة الاسميّة"،"الفاعل في اللّغة العربيّة – بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول"،"مقارنة لغويّة في ضمائر الجنس والعدد"،"التّعريف والعدد – في اللّغة العربيّة واللّغات الأوربيّة"،"الصّفة في اللّغة العربيّة"،"الظّرف في اللّغة العربيّة"،"العيد في الدّين وفي اللّغة"،"أوزان الشّعر العربي"،"اللّغة العربيّة بين لغات الحضارة العصريّة"،"ترجمة المفردات أو العبارات"،"الأدب العربي القديم أدّى رسالته ويؤدّيها"،"أسلوب الدّرعيّات"،"شعر العرب في أدب الحرب–كتاب الدّكتور زكي المحاسني".

ثمّ ختمه بكلمة ختاميّة ركّز فيها على مسائل النّحو باعتباره من أهمّ المستويات اللّغويّة الأربعة، وأبدى رأيه في موضوع العامل الذي كان محور تناقش بين طرفين أحدهما منكر للعامل، وآخر يعمّم العامل على حسب مدلولاتها اللّفظيّة، وأثبت أنّ هناك رأي وسط بينهما ينفي الجدال في دلالة العامل على معنى متّصل بما تفيده الكلمة في موقعها، والحركات بأنّها لا جزافا بغير دلالة غير دلالة الشّيوع والتّواتر حين جاء بالقرآن الكريم كبرهان لقوله، فدرس فيه اختلاف الإعراب في جواب الشّرط باختلاف زمنه ودرس الصّفة والحال وغيرها.

ونرى من خلال هذه المواضيع أنّ العقّاد قد سعى ليثبت بالأساس، أنّ اللغة العربيّة ذات مكانة رفيعة وعالية كونها لغة القرآن ولغة الأنبياء فهي أقوى لغات العالم وجوهر الكلام حيث تستطيع استيعاب جميع العلوم والمعارف وتحتوي على مئات الآلاف من جذور الكلمات، وهي تراث قومي وقيمة حضاريّة لذا يجب الحفاظ عليها والافتخار بها لتطوير نطاقها.

و قد اعتمد العقّاد في كتابه "أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب"على بعض من المراجع لم يبيّنها في الإحالات بل ذكرها في مضمون قوله، ولم يخلو من بعض الأخطاء الإملائيّة، إلّا أنّ الكتاب قد نال أهميّة وقيمة كبرى من طرف القرّاء والدّارسين لأنّه يحمل لنا معلومات قد نكون نجهلها ولم نتطرّق إليها من قبل.

الفصل الثاني

جوانب من المباحث اللّغويّة في الكتاب

جوانب من المباحث اللّغويّة في الكتاب:

أوّلا: أقدم اللّغات:

ينطوي تحت هذا العنوان سؤال عن "ما هي اللّغة الأولى القديمة؟" أو "أيّ لغة من اللّغات هي الأقدم؟".

هذا ما شغل بال الباحثين في تاريخ اللّغات و ذلك بالبحث عن أقدمها إلى أن يصلوا إلى اللّغة الأولى المتناولة في ذلك الوقت، و قد جاءنا العقّاد في هذا الموضوع: (بأنّ اللغة الأولى قد تفرّعت عليها جميع اللّغات بعد تفرّق الأمم في جوانب العالم المعمور،و كانوا يفترضون أنّ اللّغة الأولى كانت لغة الجنس البشري كلّه يوم كان له مقام واحد في قارّة واحدة، ثمّ تفرّعت هذه اللّغة بعد انفصال النّاس و انقطاع الصّلة بينهم حتّى امتنع التّفاهم بين المتكلّمين بكلّ شعبة من شعب اللّهجات المتفرّعة في مواطنها المختلفة).[1]

و مدلول هذا الحديث أنّ الأمم في القديم كانت تجمعهم قارّة واحدة و مكان واحد آي كانوا يمثّلون قبيلة واحدة لهم نفس اللّغة و نفس المعاني ممّا يؤدّي إلى وجود لغة واحدة قديمة هي اللّغة الأمّ، إلى أن تفرّقت الأمم و توسّعت القارّة حيث احتوت على مجموعة من الأماكن المختلفة و العديدة، وقد اختصّ كلّ فريق و كلّ جنس بلغته الخاصّة به و كانت لهم لهجاتهم المتعدّدة في مواطنهم، وتحوّلت هذه اللّهجات إلى لغات و منه قال الله تعالى[2]:﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ الحجرات: ١٣

إلّا أنّ هذا البحث الطويل لم ينته إلى وحدة بين لغات الأمم غير وحدة العائلات اللّغويّة الكبرى الّتي يتعذّر التّقريب بينها اليوم بغير الاتّفاق في كلمات معدودات، و هذا ما أقرّ به العقّاد، و ذلك أنّ الباحثين لم يصلوا إلّا لوحدة العائلات اللّغويّة الكبرى الّتي تختلف حيث لم يستطع اللّغويون التّقريب و المقارنة بينها، بغير الاتّفاق في بعض من الكلمات و الّتي توجد في الكثير منها و لا توجد فيها

[1] –أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 14.

[2] – سورة الحجرات ، الآية 13.

جميعها، فذهب الباحثون إلى أمّهات العائلات اللّغويّة و قاموا بتفصيلها، و ذلك منها مثلا: اللّغات السّامية و أقسامها، و دراسة كلّ فرع منها إلّا أنّهم كادوا أن يتعثّروا في هذا الموضوع كما تعثّروا في بحثهم عن اللّغة الواحدة الأولى للأمم، و لقد كان تعثّرهم في مواضع الاتّفاق بين فروع العائلات أقرب أمدا في مراحل التّاريخ القديم، و قد بيّن هذا العقاد و ذلك بأنّهم صادفوا عقبات في طريقهم للبحث عن هذا الموضوع.

كما بيّن لنا الرّأي الغالب بين علماء المقارنات اللّغويّة أنّ أصول العربيّة حديثة بالقياس إلى أصول العائلة الهنديّة الأوربيّة و لا سيما السّنسكريتيّة و الجرمانيّة؛ و معنى هذا أنّ اللّغة العربيّة حديثة الأصل لم تكن موجودة منذ القدم مقارنة بأصول الهنديّة الأوربيّة و خاصّة السّنسكريتيّة؛ و التي تعدّ لغة الكتاب المقدّس للهند و الجرمانيّة، و أنّ هاته الأصول قديمة، لكن هناك رأي مخالف و معارض من طرف الهنود و خاصّة المسلمين في المقابلة بين السّنسكريتيّة و الجرمانيّة و العربيّة، و المعروف أنّ اللّغة السنسكريتيّة لغة الهند و لغة كتابهم المقدّس و اللّغة العربيّة لغة العرب.

و قد قاموا بهذه المقابلة لتصحيح الأخطاء الّتي يقع فيها الأوربيّين اللّغويّين في المقابلة بين الكلمات، حيث أنّهم ينبّهون إلى تلك الأخطاء و يقومون بتقديم معانيها و دلالة ألفاظها، و الأخطاء الّتي يهتمّون بها أكثر هي الّتي تقابل بين جذور الألفاظ العربيّة و الأجنبيّة، و بيان الفرق بين هاتين اللّغتين و معظم العلماء يرجعون هذه الكلمات إلى أنّها من أصل عربي، و قد جاء العقّاد في رأيه أنّه:

(يكاد أن يرجع بمعظم هذه الجذور إلى أصل عربي يقاربه بحرفين أو ثلاثة حروف من الكلمات القديمة، اعتمادا على القول الشائع عن نشأة الكلمات العربيّة جميعا من حرفين اثنين تلحق بها الحروف المزيدة تارة في أوائل الكلمات و تارة في أواخرها)[1].

و من هذا المنطلق و هذه المقارنات يوجد بحث الشّيخ "محمد أحمد مظهر" بمجلّة الأديان الّتي تصدر بالإنجليزيّة في الباكستان، تحت عنوان ((العربيّة أمّ جميع اللّغات)) و هو دليل قد سرد فيه المئات من الكلمات الأجنبيّة يحسبها من مشتقّات العربيّة على صورة من الصور اللّفظية أو المعنويّة،

[1]–أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 15.

و قد وفّق كلّ التّوفيق في بعض هذه الكلمات و لكنّه أوغل جدّا في التّخريجات المتتابعة للوصول بالكلمة إلى جذرها العربي فيما يراه.

و لقد تكلّم في هذا الموضوع عن الأمّة الّتي تحيّزت كلّ منها إلى لغتها و أعجبت بها إلى الحدّ الذي جعل كلّ أمّة تقول أنّ لغتها هي الأصل، و أنّ اللغات الأخرى فروعا لها؛ فزعم اليهود أنّ العبريّة هي اللّغة الأولى و أنّ الله قد علّمها آدم، ثمّ إنّ النّاس–خاصّة في بابل– حين حاولوا أن يتّخذوا لأنفسهم مدينة عظيمة و برجا شامخا يطول عنان السماء غضب عليهم الرّبّ فبلبل ألسنتهم و جعلهم فرقا لا يفهم بعضهم بعضا، بعد أن كانوا أهل لغة واحدة و لذا سمّيت بابل من تبلبل الألسنة، و هناك من فسّر بابل بأنّه اسم من باب إيل آي باب الرّب.

و جاء محمد أحمد مظهر بأمثلة عن هذا الموضوع، فقال[1]:(أنّ كلمة الذرة A-tom أتوم معناها لا يتجزّأ أو لا ينقطع، فهي على هذا مأخوذة من كلمة "طم" العربيّة بمعنى "قطع" لأنّ الهمزة الأولى زائدة بمعنى النّفي في اليونانيّة، و "توم" هي "طم" بعينها،إذا لاحظنا أنّ الأوربيّين يضعون التّاء موضع الطّاء.

– و يقول أنّ كلمة Arrive "أرايف" في الإنجليزيّة و "أغيف" بالفرنسيّة بمعنى وصل إلى المرفأ، فهي مأخوذة من "أرفأ" العربيّة بهذا المعنى).

و على هذا النّحو، و من هذه الأمثلة و المقابلة بين العديد من المفردات المتشابهة بالحروف لكن هذا التّشابه ليس كافيا لتحقيق الاقتباس من العربيّة، إلّا إذا كانت مادّة الكلمة في جذورها غريبة عن لغاتها الأجنبيّة، و كانت مستخدمة من قبل بحيث استخدمت عند الآخرين بمعناها أو ما يشابه معناها، و هذا ما يكون صعبا في تحقيقه و ذلك لأنّها قد استخدمت بمعنيين مختلفين في لغات مختلفة.

[1] –أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 16.

و يعتقد العقّاد أنّ[1] ((اللّغة العربيّة أقدم من معظم اللّغات الحديثة، و أنّ شواهد سبقها في القدم تزيد على الشواهد الّتي يستدلّ بها على سبق أقدم اللّغات الأخرى))، ومن هذا الاعتقاد نذهب إلى الكاتب و الشّاعر اللّبناني "رفيق معلوف" على أنّه يوجد دلائل جديدة على أنّ اللّغة العربيّة هي أوّل اللّغات الّتي عرفتها شعوب العالم منذ القدم، فبعد سنوات من ليّ الحقائق و تزييفها تأتي الأبحاث و الدّراسات و الكشوف الأثريّة الحديثة لتؤكّد أهميّة لغة الضّاد.

و يقول العلّامة الروماني "بلينوس" صاحب كتاب (التّاريخ الطبيعي، ج 37): (إنّ الشّعب الفينيقي حظي بالشّرف العظيم لاختراعه حروف الأبجديّة)، و من المعروف أنّ اللّغة العربيّة هي لغة آدم عليه السلام، و هي لغة أهل الجنّة و أقوى لغة في العالم تستطيع استيعاب جميع العلوم و المعارف، وتحتوي على مئات الآلاف من جذور الكلمات.

و مثال هذا قول رسول الله صلّى الله عليه و سلّم[2]:"خلق الله آدم على صورته، طوله ستّون ذراعا، فلمّا خلقه، قال: اذهب فسلّم على أولئك النّفر، و هم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيّونك فإنّها تحيّتك و تحيّة ذرّيتك، قال: فذهب، فقال: السّلام عليكم، فقالوا: و عليك السّلام و رحمة الله، فزادوا: و رحمةَ الله، قال: فكلّ من يدخل الجنّة على صورة آدم طوله ستّون ذراعا، فلم يزل الخلقُ ينقُصُ بعدُ حتّى الآن"؛ و من هذا الحديث الشّريف فقد أنطق الله سبحانه و تعالى آدم عليه السّلام باللّغة العربيّة.

وإن نظرنا من هذا المفهوم نقول أنّ اللّغة توقيفيّة من عند الله و وهبها للإنسان حين خلقه وعلّمه البيان، و هي الشّيء العظيم و الثّمين الذي ميّز الله بها الإنسان عن باقي المخلوقات، ومن خلال هذا نقول أنّ اللّغة الواحدة انطلقت من إنسان واحد ثمّ انتشرت و انبثقت منها اللّغات الموجودة الآن.

[1] – أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 17.

[2] –حديث نبوي شريف.

و المعروف أيضا أنّ اللّغة العربيّة هي لغة قريش و لغة القرآن الكريم، وقد كانت منتشرة قبل الإسلام بقرون في جزيرة العرب، و هي نفسها الّتي جسّدها الفينيقيّون في حروف و دوّنوها على نظام الأبجديّة (أبجد،هوز،حطي،كلمن،سعفص،قرشت،ثخذ،ضظغ) و هذا التّرتيب حسب مخارج الأصوات من الحلق حيث أسقطوا الخصائص الصّوتيّة للألف و الواو و الياء،و اعتبروها أحرفا صامتة تعبّر عن صورة إخراجها من الفم مكتفين باستعمالها أدوات لمدّ حركة الصّوت عندما تلحق بحرف صامت آخر، مثل: (زياد،سمير،خلود).

وقد أسقط أيضا الفينيقيّون بعض الحروف الصّامتة غير المنطوق بها في العربيّة القديمة إلّا نادرا كحرف (G) الذي استعملته تميم بدلا عن الجيم، و مازال يستعمل في قسم من وادي النيل و اليمن، وهناك من قال أنّ اللّغة العبريّة هي أصل اللّغات جميعا وأنّ ما عداها متفرّع منها، و لو صحّت النّظريّة نقول أنّ اللّغة هبة من السّماء.

ومن منظوري الشّخصي، فاللّغة العربيّة تتميّز بغناها في الاشتقاق حيث نستطيع استخراج من كلمة واحدة كمّ هائل من الكلمات عكس اللّغات الأخرى، فمثلا: كلمة طول، نشتقّ منها: طويل،استطال،يطيل،مستطيل، طال،أطول و طيلة...، ولها أيضا من كلمة واحدة عدّة مفردات ومعاني.

وبذل علماء اللّغة جهودا كبيرة في البحث في تاريخ العائلات اللّغويّة، فوضعوا القواميس الاشتقاقيّة للمجموعات اللّغويّة الكبيرة.

و يذكر العقّاد دليلا آخرا[1] وهي وسيلة تقودنا إلى كلّ لغة على حدة، فتفصّل كلماتها و المعنى الّتي تحمله و هو اشتقاق أسماء الحيوان في اللّغة، إذ أنّ اللّغة الّتي ترجع الأسماء فيها إلى مصدر مفهوم من مصادرها تسبق اللّغات الّتي تتلقّى هذه الأسماء جامدة أو منقولة بغير معنى يؤدّيه لفظها الدّال عليها في أحاديث المتخاطبين بها، فأسماء الأسد و الكلب و النّسر و الصّقر و الغراب و الفرس و الحمار و البغل و الجمل و الخروف،و عشرات غيرها من أسماء الحيوان هي كلمات ذات معنى يفهمه

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 18.

المتكلّمون بها، و يطلقونه أحيانا إطلاق الصّفات عند المشابهة بين هذه الحيوانات و بين غيرها في إحدى صفاتها.

يقال مثلا: أسد الكلب للصّيد أغراه به، وأسد عليه اجترأ، وآسد بين القوم أفسد بينهم، و معنى هذا على كلّ احتمال في سبق الكلمة بلغتهم هذه و يستخدمونها للوصف أو للاشتقاق و المجاز.

و كذلك معنى الصّقر من الحدّة في الحرارة أو في الطعم أو في المس أصل صالح لإطلاقه على الطّائر المسمّى باسم الصّقر أو الموصوف بهذه الصّفة، و البغل من مادّة في اللّغة العربيّة أصيلة في معنى الخلط و النّسب المدخول و كلّ ما هو مدخول غير خالص أو صريح، و يشبهه الدغل و الزغل والوغل، و الغين و اللّام بمعنى الغلّ الذي يخامر الصّدور، و غير ذلك.

وهكذا عشرات الأسماء الّتي تدلّ على وجود هذه اللّغة في أقدم عهد عرفت فيه الأمّة العربيّة هذه الحيوانات، و هو عهد بعيد في القدم لم يعرف قبله عهد لهذه اللّغة نقلت عنه تلك الأسماء بغير هذا اللّفظ و غير هذا الاشتقاق، و يقابل هذا في اللّغة الإنجليزيّة أسماء كلّها منقولة من غيرها أو مقصورة على مسمّياتها الّتي لا يعرض لها التّصريف في لهجات الخطاب، فالأسد(Lion) من (ليو) Leo اللاتينيّة، و الحصان (Horse) من (روس) Ross الجرمانيّة، وغيرها[1].

و كذلك لبقيّة الكلمات جذور اشتقاقها بالعربيّة، فإنّها منقولة من أسماء جامدة ليس لها اشتقاق متداول في لغة الخطاب؛ إذن الحكم بالسّبق للّغة العربيّة لجميع اللّغات الّتي تخلفت عن زمان التّسميّة الأولى لثلث الحيوانات بأسمائها المشتقّة، على العلم بما تعنيه من وصف و تشبيه و العلم بالحيوان المستأنس أو الحيوان المتوحّش أقدم شيء في لغات بني الإنسان، فلا نستطيع أن نتخيّل أمّة بادية أو حاضرة عاشت زمنا طويلا قبل التّاريخ بغير حيوانات مستأنسة أو وحشيّة نسمّيها و نتحدّث عنها، ولو نذهب إلى هذه الفكرة نجد أنّ هناك عدّة قصص قديمة عاش فيها الإنسان مع حيوانات كثيرة ومتنوّعة حتّى أصبحوا أصدقاء أوفياء لبعضهم البعض.

[1] –أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 19.

و حسب رأي العقّاد أنّه ليس في تواريخ اللّغات عهد أقدم من هذا التّاريخ، وفيه الكفاية للدّلالة على انتشار اللّغة و شيوع قواعد الاشتقاق و التّسميّة بين أبنائها في ذلك العهد السّحيق؛ ولا خلاف في دلالة أسماء الحيوان بألفاظها المشتقّة على قدم اللّغة العربيّة عند المقابلة بينها وبين اللّغات الأوربيّة من أقدم عهودها التّاريخيّة.

ويبقى هذا محلّ للنّظر بين العائلات اللّغويّة الّتي سجلت فيها ألفاظ مشتقّة لأسماء حيواناتها، ولم تزل لها في معجماتها المحفوظة معاني المشتقّات و الصّفات.

ومن خلال ما سبق نلاحظ أنّ اللّغة هي أوّل ما خلق مع الإنسان و الّتي انطلقت معه و مازالت إلى حدّ الآن، فهي وسيلة تواصل الأفراد و المجتمعات إلّا أنّها انقسمت إلى مجموعة من اللّغات، لكن نجد بعض من مصطلحات هذه اللّغة في لغات أخرى.

و اللّغة العربيّة هي الأقدم من بين اللّغات لأنّها لغة ثريّة و مبدعة و لغة الحكمة و الأدب و العلوم و المعارف، فهي ذلك الينبوع الدّافق الذي أسهم في معظم الحضارات الإنسانيّة معرفة و كتابة وأدبا و فكرا.

ثانيا: عوامل الإعراب في اللّغة العربيّة:

عرّف العلماء الإعراب كلّ حسب رأيه لكن حملوا نفس المدلول و المعنى، فكان تعريف الدّكتور"زين كامل الخويسكي" في كتابه (قواعد النّحو و الصّرف) أنّه[1]: تغيّر أحوال الكلمات وعلاماتها لاختلاف العوامل الدّاخلة عليها.

وتعريفه في النّحو الوافي[2] على أنّه: تغيّر العلامة الّتي في آخر اللّفظ بسبب تغيّر العوامل الدّاخلة عليه، وما يقتضيه كلّ عامل.

و قد اهتمّ علماء اللّغة بالبحث في مسألة (العامل) في لغتنا العربيّة، وعند العقّاد هي مسألة من أهمّ

[1]–قواعد النّحو والصّرف، د.زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، د ط، 2005، ص 20.

[2]–النّحو الوافي، عبّاس حسن، دار المعارف، مصر، ط3، 1975، ص 74.

مسائل النّحو في هذه اللّغة بل هي مسألته الكبرى أو مسألته الأولى و الأخيرة لأنّها ترتبط بأسباب الحركة على أواخر الكلمات، وتلك هي أسباب الإعراب و البناء.

و الإعراب له أركان لابدّ بالإحاطة بها، وهي[1]:

-عامل: وهو الذي يجلب العلامة.

-معمول: وهو الكلمة الّتي تقع في آخرها العلامة.

-موقع: وهو الذي يحدّد معنى الكلمة أي وظيفتها مثل الفاعليّة والمفعوليّة والظّرفيّة وغيرها.

-علامة: وهي الّتي ترمز إلى كلّ موقع على ما تعرفه في أبواب النّحو.

فالعامل هو الشّيء الوحيد والأوّل الذي يؤدّي إلى فهم المعنى المقصود،فهو الذي يظهر لنا الكلمة الصّحيحة، وذلك ببيان حركتها في آخرها حيث يؤدّي إلى نتيجة معرفة إن كانت الكلمة معربة أو مبنية، وفهم المدلول الذي تسعى لإيصاله، و يمكن أن نسمّي العامل ب"العلامة" فيقصد العقّاد في حديثه عن العوامل بالعلامات الإعرابيّة في العربيّة.

والعامل في النّحو الوافي هو[2]: ما يؤثّر في اللّفظ تأثيرا ينشأ عنه علامة إعرابيّة ترمز إلى معنى خاصّ كالفاعليّة أو المفعوليّة أو غيرهما، ولا فرق بين أن تكون تلك العلامة ظاهرة، مثال: طلع الهلال، أو مقدّرة ،مثل: يكثر النّدى شتاءً، فإنّ الدّليل على إعرابها و هي مفردة أنّ علامة آخرها تتغيّر عند التّثنيّة و الجمع، فنقول: تراكم النّديان، وامتصّ النّبات النّديين.

و كثُر الكلام –قديما و حديثا– على العامل و على ماله من أثر سيّء في النّحو العربي، وفي الأساليب و صياغتها و فهمها، ولم نر بين المتكلّمين من راعي جانب الاعتدال و الإنصاف.

وأقوى ما وجّهوه إلى العامل من طعن أمران[3]:

*أوّلهما: أنّ النّحاة نسبوا العمل إليه، فجعلوه هو الذي يرفع أو ينصب أو يجرّ أو يجزم، مع أنّه قد يكون سببا في خفاء المعنى– في زعمهم– أو تعقيده،و كيف ينسب إليه العمل و هو لا يعمل شيئا،

[1]–التّطبيق النّحوي، د عبد الرّاجحي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط2، 1998، ص 18.

[2]–النّحو الوافي، عبّاس حسن، دار المعارف، مصر، ط3، 1975، ص 75.

[3]–المرجع نفسه، ص74،73.

و إنّما الذي يعمل هو المتكلّم؟

*و ثانيهما: أنّ النّحاة و قد قصروا عليه العمل وحده، بحثوا في بعض التّراكيب العربيّة الصّحيحة فلم يجدوه، فاضطروا أن يقدروه و أن يفترضوا وجوده و يتكلّفوا و يتعسّفوا.

و العلامات الإعرابيّة هي الرّمز الدّال على رفع الكلمة أو نصبها أو جرّها أو جزمها بحيث يبيّن لنا المعنى و القصد من هذه الكلمة و لولاها لاختلطت المعاني؛ و علامات الإعراب، هي[1]:

أ-الرّفع:

*بالضّمّة: -الاسم المفرد (سماءٌ)

-جمع التّكسير (رجالٌ)

-جمع المؤنّث السالم (مسلماتٌ)

-الفعل المضارع (يذهبُ)

*بالواو: -الأسماء الخمسة (أبوك)

-جمع المذكّر السالم (المسافرون)

*بالألف: -المثنّى (المسافرون)

*ثبوت النّون: -الأفعال الخمسة (تذهبان)

ب-النّصب:

*بالفتحة: -الاسم المفرد (الرجلَ)

-جمع التّكسير (أصدقاءَ)

-الفعل المضارع (لن يذهبَ)

*بالكسرة: -جمع المؤنّث السالم (السّيدات)

*بالألف: -الأسماء الخمسة (أباك)

*بالياء: -المثنّى (المسافرين)

---

[1]-الدّراسات السّابقة.

-جمع المذكّر السا لم (المسافرين)

*حذف النّون: -الأفعال الخمسة (لن يذهبا)

ج- الجرّ:

*بالكسرة: -الاسم المفرد (كتاب)

-جمع التّكسير (الرّجال)

*بالفتحة: -الممنوع من الصّرف (ابراهيم)

د- الجزم:

*بالسكون: -الفعل المضارع الصحيح الآخر (لم يذهب)

*حذف النّون: -الأفعال الخمسة (لم يذهبَا)

*حذف حرف العلّة: -الفعل المضارع المعتلّ الآخر (لم يرم)

و العامل هو الفعل الذي يؤثّر في آخر الفاعل فيجعله مرفوعا، وفي آخر المفعول فيجعله منصوبا، وكالجازم فإنّه يؤثّر في آخر المضارع فيجعله مجزوما،وحرف الجرّ فإنّه يؤثّر في آخر الاسم فيجعله مجرورا. وهو ثلاثة أقسام[1]:

أ- أصلي: لا يمكن الاستغناء عنه و إلّا فسد المعنى المقصود.

ب- زائد: يمكن الاستغناء عنه من غير أن يترتّب على حذفه فساد المعنى المقصود.

ج- شبيه بالزّائد: يؤدي معنا جديدا خاصّا.

ومن أسباب العودة إلى مسألة العامل تعليق المؤبنين على آراء العا لم النّحوي الكبير الأستاذ "إبراهيم مصطفى"رحمه الله، وقد جاء العقّاد برأي إبراهيم مصطفى المشهور في كتابه"إحياء النّحو" أنّه[2]:ينكر على النّحاة الأقدمين إفراطهم في تقدير العامل الذي ينسبون إليه تغيير الحركة في آخر الكلمة، ويجعلون لكلّ حركة من حركات الإعراب عاملا ظاهرا أو مستترا يوجب الفتح أو الكسر في

[1] -النّحو الوافي، عبّاس حسن، دار المعارف، مصر، ط3، 1975، ص 441.

[2] -أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص29.

آخر الكلمة، ولا يذكرون للضّمّ عاملا غير امتناع الحركتين الأخريين، فيقولون: (إنّ الكلمة المرفوعة لامتناع النّاصب و الخافض)، وهو فيما رأى بعض الأقدمين تعليل غير معقول لأنّ امتناع سبب من الأسباب لا يكون سببًا موجبًا لشيء،كما قالوا و شايعهم على قولهم العا لم الفقيد، وقد بني على هذا الاعتراض مذهبه كلّه في إحياء النّحو، لأنّه أقام لحركة الضّمّ في آخر الكلمة سببًا موجبًا سمّاه "الإسناد"، ورأى أنّ الفتحة هي الحركة الّتي تأتي بغير عامل ولا تعتبر علما من أعلام الإعراب.

يقصد إبراهيم مصطفى في رأيه هذا أنّ النّحاة القدامى أكثروا من تقدير العامل الذي يقرنونه بتغيير الحركة أو العلامة في آخر الكلمة، ويجعلون لكلّ علامة من علامات الإعراب عاملا ظاهرا أو مستترا، فيجب أن يكون فيه الفتح أو الكسر في آخر الكلمة أمّا الضّمّ فلا يذكر له عاملا و يكون لامتناع النّاصب و الخافض آي الحركتين الأخريين، وحسب الدّراسات الأخرى عند بعض القدامى أنّه تعليل خاطئ و غير معقول، حيث أنّ الامتناع لا يكون سببًا موجبًا.

وهذا عكس ما جاء به إبراهيم مصطفى، فقد كان نقيضا للنّحاة القدامى و وضع كتابه"إحياء النّحو"، وأقام فيه لحركة الضّمّ سببًا موجبا سمّاه (الإسناد) وجاءنا بأنّ الفتحة عي الحركة الّتي لا يكون فيها عامل؛ ومن شكوكه القوميّة أنّ الإسناد لا يصلح لتعليل الضّمّة لسبب يسير لأنّها فيها ينضمّ الفهم سواء في نهاية الكلام أو قبله.

والإسناد هو نسبة شيء لشيء، ويقوم على ركنين هما:

-المسند وهو ما يحكم به على المسند إليه، وهو أنواع: الفعل، الخبر، خبر كان، وغيرهم.

-المسند إليه وهو اسم يحكم عليه بحكم من الأحكام، ويكون إمّا مبتدأ، فاعل أو نائب فاعل وغيره.

ومن مثال على الإسناد: إسناد الأفعال إلى ضمائر الرّفع المتّصلة، وهي (التّاء المتحرّكة، ألف اثنين، نا، واو الجماعة، نون النّسوة).

و الأستاذ إبراهيم لا ينكر أنّ أواخر الكلمات المعربة تختلف في اللّغة العربيّة باختلاف المعنى أو باختلاف العلاقة بين معاني الجملة و دلالة كلماتها، ولكنّه ينكر أن يتحوّل العامل من (معنى مفهوم) إلى لفظ محدود يقيّد ذلك المعنى بلوازمه اللّفظيّة، لأنّ اللّفظ قد يرمز إلى المعنى المقصود من إحدى

نواحيه على سبيل المجاز ولا يتابعه في جميع لوازمه ومصاحباته وتفريعاته على جميع الأحوال، ولا مناص من الخلط في التّقدير والتّأويل إذا جعلنا الرّفع –مثلا– مساويا للمفهوم من القطع، أو جعلنا الجرّ مساويا للمفهوم من السّحب، أو جعلنا الكسر مساويا للمفهوم من البتر،إلى أشباه ذلك من المفاهيم الّتي تتّفق من ناحية واحدة ولا تتّفق من نواحيها الحقيقيّة كلّ الاتّفاق.[1]

ودلالة هذا الكلام هو أنّ الأستاذ إبراهيم لا ينكر أنّ أواخر الكلمات المعربة آي علاماتها تختلف في اللّغة العربيّة باختلاف الدّلالة الّتي تحملها أو باختلاف العلاقة بمفهوم الجملة أو الوظيفة الّتي يراد تأديتها، والمعنى الذي تحمله الكلمة؛ لكنّه ينكر تحويل العامل–وهو الأداة الّتي تبيّن معنى الكلمة– من معنى مفهوم و معقول إلى لفظ محدود يتقيّد به المعنى بلوازمه و أدواته اللّفظيّة، وذلك بأنّه اللّفظ قد يهدف إلى ذلك المعنى لكن بأسلوبه و مجازه بحيث لا يتابعه بلوازمه و تفريعاته على جميع الأحوال، وعند الخلط بين التّقدير و التّأويل لا يكون هدفا واضحا، فمثال ما أتي به هو أنّ الرّفع يساوي مفهوم القطع، والجرّ بمعنى السّحب، والكسر بمعنى البتر؛ وهذه المدلولات قد تتّفق في مفهوم واحد لكن لا تتّفق في جميع المعاني الحقيقيّة، وممّا لا شكّ فيه هو إفراط النّحاة في تقديراتهم بنقل السّبب من معنى ملحوظ إلى لفظ محدود، وهذا ما قصده إبراهيم مصطفى، ثمّ تقييد المعنى بالحدّ اللّفظي في جميع تصريفاته.

و جاء العقّاد بأنّ هذا الخطأ يلازم المعترضين على النّحاة في تقديراتهم و تأويلاتهم كما يلازم النّحاة في تلك التّقديرات و التّأويلات، بل نرى من الإنصاف أن نقرّر هنا أنّ أخطاء المعترضين أكبر وأكثر من أخطاء المقدّرين، وأمثلة ذلك كثيرة جدّا في الشّواهد الّتي استند إليها الأستاذ إبراهيم مصطفى أو ابتدأ بها ابتداء من عنده في كتاب "إحياء النحو" في غيره من دراساته اللّغويّة.

وحسب هذا الكلام أنّ المعترضين أكثر خطأ من المقدرين، وممّا يوضّح هذا شواهد إبراهيم مصطفى الّتي ابتدأ بها في كتابه المشهور و الذي يحمل بين طيّات صفحاته علما منوّرا.

[1] –أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 30.

وذكر العقّاد ما رواه الأستاذ قصّة الإمام "أبي عليّ الفارسي" مع عضد الدّولة، فقال:(إنّ عضد الدّولة سأله:"لماذا ينصب المستثنى في نحو قام القوم إلّا زيدا؟،فقال الإمام: بتقدير أستثنى زيدا، قال عضد الدّولة: لم قدرت أستثنى؟ هلا قدرت: امتنع زيد، فرفعت؟ فلم يجد الفارسي جوابا، وقال هذا الذي ذكرته لك جواب ميداني، فإذا رجعت ذكرت الجواب الصّحيح).

فوضّح هذه القصّة العقاد بأنّ الإمام أبا عليّ الفارسي تجنّب اللّجاجة عمدا مع الأمير في ذلك المجلس لسبب رآه وهو يرجئ الجواب الصّحيح إلى موضعه من البيان، وإلّا فإنّ الجواب يسير لو أراده أبو عليّ لترجيح تقديره في هذا المقام، فإنّ الأفعال الّتي تستخدم للاستثناء تدلّ على معنى الحرف الذي ينوب عنها،فيأتي معنى "إلّا" موافقا لمعنى حاشا و ماخلا و ماعدا، وكلّ فعل يستثني ما بعده على هذا القياس، ولا موجب لإعطاء الحرف هنا معنى غير معنى الفعل الذي يدلّ مثل دلالته إلّا أن يكون حرفا من حروف الجرّ في حكمه المعروف.

و هذا ما سأتطرّق إليه من خلال أدوات الاستثناء العديدة، فالاستثناء هو إخراج شيء من حكم عام، وأجزاء جملته هي (المستثنى منه، أداة الاستثناء، المستثنى)، أمّا في الحديث عن الأدوات سأذكرها كالآتي[1]:

*أداة حرفيّة هي (إلّا) ويكون المستثنى بعدها منصوبا.

*أداة اسميّة هي (غير) ويكون المستثنى بعدها مجرورا بالإضافة، و(سوى) وهو حكم مستثناه هو حكم المستثنى ب(غير)، إلّا أنّ (غير) تظهر علامات الإعراب أما (سوى) فعلامات الإعراب تقدر عليها.

*أداة فعليّة هي (ليس) و مستثناه يكون منصوبا على أنّه (خبر ليس) واسمها ضمير مستتر جوازا تقديره "هو".

و (لايكون) حكمها هو حكم المستثنى ب(ليس) ولا تستعمل معها أداة نفي إلّا (لا).

[1]–الموسوعة النّحويّة والصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر علي عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 29.

-أداة تستعمل فعلا و حرفا هي (خلا-عدا-حاشا) والمستثنى بعدها يجوز نصبه على أنّ هذه الأدوات أفعال، والمستثنى مفعول به لفاعل مستتر وجوبا تقديره (هو)، ويجوز جرّه على أنّها أحرف جرّ.

-(ماخلا-ماعدا-ماحاشا) يكون المستثنى بعدها منصوب على أنّه مفعول به، وهما فعلان ماضيان، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره (هو).

وجاء العقاد بأنّ من الخطأ في تطبيق القياس أن يحسب الأستاذ إبراهيم كثرة الفتحة على أواخر الكلمات بحساب العدد، وهو في مقام النّظر إلى (الحكم) الكلمة بين أحكام سائر الكلمات؛ فإذا كان حكم الفعل الماضي مثلا أن يبنى على الفتح، فإنّ سريان هذا الحكم على فعل واحد كاف لاستغراق جميع المواد في اللّغة العربيّة على وجه التّقريب، لأنّ كلّ مادّة لفظية قابلة للاشتقاق لا تخلو من فعلها الماضي المجرّد و المزيد، ثمّ يأتي الفعل المضارع المعرب بالنّصب فيضاف إلى هذا العدد الوافر من أواخر الماضي المفتوحة، ويأتي بعد ذلك عدد المنصوبات من الأسماء بعوامل النّصب فلا يكون في هذه الزيادة دليل على أصالة حركة الفتح بين سائر الحركات، وإنّما هي حكم واحد على آخر فعل ماض واحد ينتهي بنا إلى هذا العدد الكثير.

يتّضح من هذا أنّ المنصوبات تتكاثر حسب نوعها و الأداة الّتي تنصبها، فالفعل الماضي مثلا مبني على الفتح و الفعل المضارع عند دخول أداة النّصب عليه تنصبه، فيضاف إلى عدد أواخر الماضي المفتوحة، ثمّ يأتي بعد ذلك المنصوبات من الأسماء الكثيرة بعوامل و أدوات تنصبها، وحيث لا يكون في هذه دليل على أنّ حركة الفتح أصليّة من بين الحركات الأخرى، فهو حكم على فعل ماضي واحد يؤدّي إلى العدد الوافر.

يقول الأستاذ إبراهيم[1]: (إنّ الفتحة أخفّ من السكون أيضا و أيسر نطقا،خصوصا إذا كان ذلك في وسط اللّفظ و درج الكلام).

[1] -أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص32.

بمعنى أنّ الفتحة أخفّ الحركات و أسهل نطقا خصوصا إذا كانت في الحرف الأوسط من الكلمة – عين الكلمة–.

ثمّ يذكر من شواهده على ذلك[1]: (أنّ العرب قد فروا في بعض المواضع من الإسكان إلى الفتح، ومن ذلك صنيعهم في جمع المؤنث السالم،لمثل: فترة، حسرة، و دعد، فإنّ العين في المفرد ساكنة ومن حقّها في جمع المؤنث السالم أن تبقى ساكنة أيضا، لأنّ الجمع السالم لا يبدل فيه بناء مفرده و لكن العرب أوجبت في مثل هذا فتح العين، فيقولون: فتَرات، حسَرات، دعدات، ولا يجوزون الإسكان إلّا في ضرورة الشّعر).

ومن خلال ما درست، فإنّ السّكون في عين الكلمة يؤدّي إلى ثقل النّطق من حرف إلى آخر حيث تكون صعوبة، وهذا أيضا ما برهنه العقاد[2] إذ من خطأ القياس عند المعترضين على طرائق النّحاة في التّقدير، لأنّ السّكون هنا لا يستثقل و إنّما يستثقل الانتقال من التّحريك إلى التّسكين ثمّ من التّسكين إلى التّحريك، ولا فرق في ذلك بين الفتحة و الضّمّة لأنّهم يقولون: الحجرات و الغرفات و القبلات و الظلمات بدلا من تسكين الجيم أو الراء أو الباء أو اللام.

ولهذا الاستمرار في الحركة أحسن و أسهل من الانتقال من حركة إلى سكون ثمّ من سكون إلى حركة، مثل: دَخَلَ، حَرَكَة.

وقال إبراهيم مصطفى[3]: (إذا رجعت إلى علم مخارج الحروف و استشهدت طبيعة الفتحة في نطقها، وقستها إلى غيرها من الحركات وجدت البرهان الجلي على خفّة الفتحة و الشّهادة لذوق العرب في استحبابها، وذلك أنّ الفتحة القصيرة أو الفتحة الطويلة –وهي الألف– لا تكلف النّاطق إلّا إرسال النّفس حرّا، وترك مسرى الهواء أثناء النّطق بلا عناء في تكييفه)؛ وهذا لسهولة نطق الفتحة لأنّها أكثر حركة خفيفة في النّطق و سهلة في مخرجها حيث تساعد النّاطق بها.

---

[1]- أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 33.

[2]–المرجع نفسه وكذلك الصفحة.

[3]–المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

ويعتبر النّحاة أنّ الضّمّة غنيّة عن التّعليل، فنرى أنّهم أقرب إلى الصّواب لأنّ الضّمّة لا تكلف النّاطق شيئا على الإطلاق إذا كانت الفتحة –كما قال الأستاذ– تكلفه إرسال النّفس حرّا، وترك مسرى الهواء أثناء النّطق بلا عناء، فإنّ الضّمّة هي حالة انطباق الشّفتين عند انتهاء كلّ كلام، وهي كذلك حالة الشّفتين قبل كلّ كلام.

إذن لا نحتاج إلى تعليل الضّمّة، فعند النّطق بها يكون في مسرى الهواء عناء حيث تطبق الشّفتين حالها حال السّكون، وهو القطع في حركة الحرف لذا لا يدخل ضمن الحركات فهو ساكن، وموقعه هو البناء و ليس الإعراب لأنّ الإعراب تكون فيه الحركات، وما نحتاج إليه حالة الفتح و الكسر.

و المعروف أنّ الفتح و الكسر –عند العقّاد– يوضعان في المواضع الّتي يتطلّبها السّبب، وهذا ما جاء به وضع اللّغة بين أوائل المتكلّمين بها، وهم الّذين يجمعون في كلامهم بين الكلمات بحركة اليد أو بشفاههم[1].

ونقول على سبيل الظنّ –قول العقاد– الذي تعززه إشاراتنا في هذا الزّمن إلى الفتح كان علامة على الابتعاد بحركة من الفم تؤكّدها حركة من اليد إلى الفضاء، و راقب المتكلّم وهو يقول عن أحد أو عن شيء إنّه ذهب و انقضى، فإنّه سواء تكلّم بالفصحى أم العامّية يقول: راح، فات، ويدفع يده مرتفعة إلى الفضاء كأنّما يشير إلى شيء غاب من العيان[2].

وكذلك نجد الألف الممدودة و الّتي ترافق الفتحة وهي تدلّ أيضا على الارتفاع و العلوّ في الكلام، ولا تدلّ الفتحة وحدها على الابتعاد بالحركة إلّا إذا اقترنت بألف ممدودة أو ألف مقصورة، ودليل هذه الأمثلة السّابقة حيث تعني الاختفاء، ونجد قرائنا للمقابلة بين اللّغات السامية ممّا يؤيّد هذا الظّنّ، فقد نقل الأستاذ إبراهيم أقوال بعض العارفين بالحبشيّة من أمثال "بروكلمان"و"رايت"، فقال[3]: (إنّه يمكن أن يرى أنّ الفتحة أصلها "ها" ha وهي ضمير إشارة مستعمل في اللّغات السّامية، ولم يزل في الحبشة

[1] – أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 34.

[2] –المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

[3] –المرجع نفسه، ص 35.

يلحق بالأعلام في حالة النّصب إذ وقع عليها فعل ذو اتّجاه، مثل: أقبل و قصد، وأصل معناها في هذا الاستعمال الاتّجاه إلى شيء أو شخص معيّن...).

وإن لم يكن هذا سبب الفتح في اللّغة العربيّة، ففيه إشارة إلى بعض أصولها في لغة من اللّغات السّامية آي تحمل لغة منها بعض من أصول اللّغة العربيّة، ممّا جعلها قرينة التّطوّر في أقدم اللّغات و أجمعها لقواعد الإعراب.

وفي الختام ومن خلال ما درس في محتوى هذا الموضوع، فإنّ الإسناد و الذي جاء به إبراهيم مصطفى مسألة اختلاف بين النّحاة الأقدمين و المعترضين، وقد سمّاه المعترضون بدعامة النّحو الجديد، ومثال هذا ما سأله الأستاذ إبراهيم[1]: (ما الفرق بين كسر الإناء و انكسر الإناء إلّا ما ترى بين صيغتي كسر و انكسر، وما لكلّ صيغته من خاصّة في تصوير المعنى؟ أمّا لفظ الإناء فهو مسند إليه و إن اختلف المسند).

ففي المثال الأوّل (كسر الإناء)، المسند هو كسر وهو فعل مبني للمجهول، والمسند إليه هو الإناء و هو نائب الفاعل، أمّا المثال الثّاني (انكسر الإناء) المسند هو انكسر و هو فعل ماضي مبني على الفتح، والمسند إليه هو الإناء وهو فاعل مرفوع.

وفي المثال السابق يلاحظ عليه ما لاحظه الأستاذ حيث نقل العامل من معناه المفهوم إلى لفظ محدود، والإسناد هنا هو موضوع الكلام و ليس معناه هو اللّفظ في الفاعل أو نائب الفاعل، ف"انكسر" هو الكسر أمّا "كُسرَ" مبني للمجهول إذن معناه غير معنى الكسر، والفاعل الذي يأتي بعده غير معلوم وهذا معنى من معاني الإسناد.

ثالثا: الحروف العربية أصلح الحروف لكتابة اللّغات:

المعروف أنّ اللّغة العربيّة هي مصدر الكلمات الصّحيحة في مقابلة الأسماء، وهي أقدم اللّغات و لغة الإسلام و أهل الجنّة.

[1]- أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 35.

وإنّ الأمم الّتي تعتمد على الحروف العربيّة في كتابتها أكثر عددا من كلّ مجموعة عالميّة تعتمد في الكتابة على الحروف الأبجديّة، ماعدا مجموعة واحدة وهي الأمم الّتي تعتمد في كتابتها على الحروف اللّاتينيّة[1]؛ إذن هناك الكثير أو معظم الأمم تتطرّق في كتابتها إلى الحروف العربيّة لتمام كلامهم.

ولأنّ الحروف العربيّة تستخدم لكتابة اللّغة العربيّة، و اللّغة الفارسيّة و اللّغة الأورديّة، و اللّغة التّركيّة و اللّغة الملاويّة، وبعض اللّغات الّتي تتّصل بها في الجزر المتفرّقة بين القارات الثّلاث: إفريقيا وآسيا وأستراليا، ونسبة الكاتبين بين هذين الأمم أقلّ في هذا العصر من نسبة الكاتبين بين أبناء الأمم الّتي تعتمد على الحروف اللّاتينيّة[2]؛ إذن الكتابة عند أبناء الأمم أكثر نسبة من الكاتبين في هذا العصر لأنّهم اعتمدوا على حروف اللّاتينيّة في كتاباتهم.

والحروف الّتي تصلح لكتابة اللّغات تعود إلى أنواع اللّغات نفسها الّتي تؤدّي ألفاظها و أصواتها حيث أنّها تتطرّق إليها، وعلى هذا الاعتبار تكون الحروف العربيّة أصلح من الحروف اللّاتينيّة أضعافا مضاعفة لكتابة الألفاظ و الأصوات، لأنّها تؤدّي من أنواعها الكتابة ما لم يعهد من قبل في لغة من لغات الحضارة.[3]

فجمال اللّغة العربيّة من جمال حرفها و الحرف العربي هو الحرف الرّئيس لكتابة لغات شعوب العالم، فقد كتبت به كثير من اللّغات في آسيا و إفريقيا و أوربا، حتّى أنّه كتبت به الاسبانية و البرتغاليّة واليونانيّة، وغيرهم.

و الحروف اللّاتينيّة –كما جاء العقّاد– تستخدم للكتابة في عائلة واحدة من العائلات اللّغويّة الكبرى، وهي العائلة (الهنديّة الجرمانيّة)، وهذه العائلة الهنديّة الجرمانيّة هي العائلة الّتي يقوم فيها تصريف الكلمات على (النّحت) أو على إضافة المقاطع إلى أوّل كلمة أو آخرها، وتسمّى من أجل ذلك باللّغات (الغرويّة) من الغراء اللّاصق في أدوات البناء و النّجارة.

---

[1] –أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 37.

[2] –المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

[3] –المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

أمّا الحروف العربيّة فهي تقوم بأداء الكتابة بهذه اللّغات و بكثير غيرها، فهي تستخدم لكتابة الفارسيّة و الأورديّة وهما من لغات النّحت أو من عائلة اللّغات الغروية، وتستخدم لكتابة التّركيّة وهي من العائلة الطورانية و يرجعون في تصريف ألفاظها إلى النّحت تارة وإلى الاشتقاق تارة أخرى، فهي وسط بين اللّغة الفارسيّة و اللّغة العربيّة.

والمعنى العامّ من هذه الحروف أنّ اللّاتينيّة تستخدم في العائلة الهنديّة الجرمانيّة، والّتي يتضمّنها النّحت وذلك إمّا في أوّل الكلمة أو آخرها، والنّحت هو أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر واختصارها، ومثال هذا: البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم"، والحروف العربيّة تستخدم لكتابة الفارسيّة و الأورديّة وهما أيضا يعتمدان النّحت، وتستخدم أيضا لكتابة التّركيّة و ينظرون إلى تصريف ألفاظها إلى النّحت و الاشتقاق، وهي بين الفارسيّة –في النّحت– و العربيّة –في الاشتقاق–لأنّ اللّغة العربيّة من أعظم لغات الاشتقاق و لايزال ضبطها للألفاظ أدقّ و أسهل.

وأقرّ العقّاد أنّه تُكتَبُ بالحروف العربيّة لهجات ملاوية تتفرّع على لغات المقاطع القصيرة و النّبرات الصّوتيّة المنغومة، ويختلفون في نسبتها إلى إحدى العائلات الثّلاث حتّى اليوم لأنّها مستقلّة بكثير من الخصائص و قواعد التّصريف، ولعلّها عائلة مستقلّة من العائلات اللّغويّة الكبرى تشعّبت فروعها لتفرّق النّاطقين بها بين الجزر المنعزلة.

وقد استطاعت هذه الأمم جميعا أن تؤدّي كتابتها بالحروف العربيّة دون أن تدخل عليها تعديلا في تركيبها ولا أشكالها المنفردة، ولم تتصرّف فيها بغير زيادة العلامات و النّقط على بعض الحروف وهي زيادة موافقة لبنية الحروف العربيّة و ليست بالغريبة عنها، لأنّ العرب أنفسهم أضافوا النّقط و الشّكل عند الحاجة إليها[1].

فالعرب لم تكن لهم نقط و تشكيل بل كانت عبارة عن رسومات و أشكال و بعد مرور الوقت وضعوا هذا التّنقيط.

[1] –أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 39.

ومثّل لنا العقّاد بالإسباني الّذي يقرأ الإنجليزيّة على حسب قواعد لغته فيحرفها كثيرا، ويبلغ من تحريفها مبلغا لا نعهده في نطق الفارسي الذي يقرأ الأورديّة أو التّركيّة أو العربيّة[1]؛ و النّاطق باللّغة غير لغته ودون معرفة المعنى قد يقع في خطأ لكن إذ عرف وتطرّق إلى دراسة معاني ألفاظها، فحتما لن يكون خلاف بينه و بين أبناء هذه اللّغة.

وتوصّل العقّاد إلى أنّ الحروف إذا قيست بغيرها لن نجد لها نظيرا بين حروف الأبجديات على تعدّدها و كثرة التّحسينات الّتي أدخلت عليها، وعند الرّصين المنصف يمكن أن نشهد للأبجديّة العربيّة بأنّها أصلح من سواها لكتابة جميع اللّغات الأخرى، إلّا أنّ بعض الباحثين يميلون إلى اختيار الحروف اللّاتينيّة لكتابة ألفاظهم، وقد أخذت طائفة من قبائل الصّحراء الإفريقيّة في كتابة سجلاتها التّجاريّة، و مراسلاتها المتداولة بينها و بين سكان الشّواطئ بالحروف الفرنسيّة.

ومن المعلوم أنّ صعوبات النّطق بين الألفاظ الإنجليزيّة و الألفاظ الهولنديّة تتجسّم في بعض الحروف كالجيم و الياء، كما تتجسّم في حروف العلّة عند مواضع الإمالة و الإشمام على نحو يسهل تداركه فيما يكتب بالحروف العربيّة، وهذا ما قام بضبطه حفظة و قرّاء القرآن الكريم في قراءاتهم.

فالحروف العربيّة تسهّل تدارك مواضع الإمالة من بين اللّغات الأخرى، وقد أشار العقّاد أنّه لا ذنب لحروفنا العربيّة و لا للأبجديّة العربيّة بجملتها في هذا التّحوّل من هذه الحروف إلى ما عداها، وحتّى حركات الإمالة هي أهون خطبا من نظائرها عند الأوربيّين...، فإنّ حرف الألف (A) وحرف الياء (I) يمالان على غير قاعدة مطردة بين الإنجليزيّة و الفرنسيّة و الهولنديّة.

فكلّ لغة من اللّغات تستعمل هذين الحرفين في كلامهم و تنطقها حسب المواضع الّتي تحدث فيها، فمثلا: A في الفرنسيّة ينطق (أ) وفي الإنجليزيّة ينطق (آي) لذا ينطق حسب الكلمة الّتي يقع فيها، وعلينا أن نسقط من حسابنا –رأي العقّاد– تهويل المهولين باختلاف نطق الحروف على حسب اللّهجات الفصحى أو العامّيّة، فإنّ الملايين من أبناء العربيّة يكتبون الجيم بشكلها الأبجدي المعروف وينطقها ابن القاهرة وغيره على حسب منطقه الّذي نشأ عليه...، وليس في شيء من ذلك ما يدعو

[1]–أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 39.

إلى تغيير شكل الحرف ولا إلى تغيير قواعد الكتابة، وإنّما هي عادات تعرف و يحسب حسابها بغير مشقة ولا كفالة كما نرى و نسمع كلّ يوم منذ أجيال.

وحسب الدّراسات نجد في كلّ لغة تواتر بين ما يكتب و ينطق، وأيضا نجد مثلا: في اللّفظ الواحد عدّة اختلافات في النّطق، ففي البادية أو أبناء الجبال ينطقون عكس أبناء المدن وذلك حسب المكان الجغرافي الذي يترعرعون فيه.

وبالتّالي، فإنّ الكتابة العربيّة من أقدم الكتابات الّتي لم تتغيّر من حيث بنيتها الدّلاليّة للمعاني والتّشكيلات الرّئيسيّة للحروف، وقد حفظها القرآن الكريم من التّغيير فلم تتغيّر اللّغة مع تعدّد اللّهجات، والحرف العربي الآن يعيش حالة من الخوف و التّشويه بالأجهزة الحديثة ما يعني فقدانه لقواعده و أصوله، والحروف العربيّة جزء من التّراث المخطوط حيث كتبت بها العديد من اللّغات في أوروبا و آسيا، فهي قيمة حضاريّة و يجب الحفاظ عليها و نشرها و الافتخار بها.

رابعا: الحروف و المعاني في اللّغة العربيّة:

يهتمّ هذا الموضوع بدراسة معنى الحرف عند تكوينه أو الكلمة و أثرها في السّمع و إدراك فصاحتها، ومعنى الحرف عند النّحاة هو ما دلّ على معنا في غيره و ليس له علامة يتميّز بها كالاسم و الفعل، يقول ابن مالك: سواهما الحرف كهل و في و لم[1]

وقد كتب إلى الشاعر الكبير الأستاذ "رشيد سليم الخوري" معقّبا على رأيي –العقّاد– في دلالة الأوزان و مخارج الحروف باللّغة العربيّة –من كتاب اللّغة الشاعرة– فقال حفظه الله: (...قد تنبّهت بطول المراجعة إلى أنّ حرف الفاء هو نقيض حرف العين بدلالته على الإبانة والوضوح: فتح، فضح، فرح... ممّا يعني إحصاؤه و يندر استثناؤه، وأنّ حرف الضّاد خصّ بالشّؤم يسم جبين كلّ لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل: ضجر– ضر– ضوضاء– ضيق...، وبعكسه الحاء الّتي تكاد تحتكر أشرف المعاني و أقواها: حب، حق، حياة، حركة...، ورأى أنّها لهذه المزية و لامتناعها –

[1] –جامع الدّروس العربيّة، الشّيخ مصطفى الغلاينيّي، دار البصائر، الجزائر، د ط، د ت، ص 16.

أو على الأقلّ مشتقّها- دون سائر حروفها الحلقيّة على حناجر الأعاجم هي أولى بأن تنسب إليها لغتنا، فنقول لغة الحاء بدلا من قولنا لغة الضّاد)[1].

ومن خلال دراستي السّابقة حرف الفاء في مخرجه لصفة الهمس و الانفتاح ليدلّ على الوضوح عكس حرف العين والذي هو نقيضه لأنّه يأتي مجهورا، أمّا حرف الضّاد شديد مجهور مطبق وتكون في مخرجه ضخامة سواء في الفعل أو الاسم، وحرف الحاء من الأصوات الحلقيّة رخو مهموس ومنفتح ويكون معناها في الكلمة يدلّ على السّعة، ولهذا تنسب إلى اللّغة العربيّة.

وهذا الموضوع هو ما شغل بال الباحثين بأسرار اللّغة العربيّة في مخارج أصواتها و تركيب ألفاظها والبحث عن مدلولاتها، و أوّل من تطرّق إلى دراسة الأصوات و مخارجها في مجالات المعرفة الباحث اللّغوي الكبير "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بربط الألفاظ بمدلولاتها، ودلالة الأصوات الهجائيّة.

وبحث الأستاذ "نجيب برادة" عن أثر الحروف في السّمع و علاقة ذلك بالفصاحة و الإقناع، ويعتقد أنّ ((الحاء)) أظهر الحروف أثرا في الإيحاء بمعاني السّعة -حسّية كانت أم فكرية- فيسوي بين موقع الحاء في أوّل الكلمة و موقعها في وسطها أو آخرها، ويتمثّل بكلمات الحرّية و الحياة و الحكم...[2].

فقد جاء الأستاذ "برادة" بأنّ الحاء مهما كان موقعها إلّا أنّها تدلّ على نفس المعنى.

لكن "العقّاد" و "الهلباوي" كانا يخالفان "برادة" في تعميم الحكم على الحرف بغير تفرقة بين مواقعه في الكلمات ومواقعه في السّماع، فجاؤوا بكلمات تناقض معاني السعة وهي (الحبس، الحجر، الحد...)، وعاد العقّاد إلى هذا البحث لمناسبة الرّأي الذي أبداه الأستاذ الخوري، فقال إنّ: (الحاء) حقّا من الحروف الّتي تصوّر معنى السّعة بلفظها و وقعها في السّمع و لكن على حسب موضعها من الكلمة و مصاحبة ذلك الموضع للدّلالة الصّوتيّة، و ليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها حيث كانت من أوائل الكلمات أو أواسطها[3].

---

[1] -أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 43.

[2] -المرجع نفسه، ص 44.

[3] -المرجع نفسه، ص 45.

يدلّ هذا على أنّ الحاء تدلّ على معناه لكن على حسب موقعها في الكلمة الدّلالة الصوتيّة الّتي تحملها، فمثلا: تدلّ على السّعة في الكلمات (الارتياح، السماح، النّجاح، الفصاحة، الفتح...)، ففي مجراها دلالة على الراحة.

والحاء منفردة –العقّاد– تكون سهلة وقليلة الحاجة إلى الضّغط في مخرجها لكن إذا تبعتها الحركة الّتي تناقض معنى السّعة لتدلّ على التّقيّد، فالجيم الساكنة و الباء السّاكنة بعد الحاء تنفي السّعة و تلغيها، هذا ما ينفي و يرفض أنّها دلالة على السّعة في أواخر الكلمات؛ إذن ليس كلّ ما يصاحب حرف الحاء من حرف الهجاء يدلّ على شرطا واحدا وهو السّعة سواء في أصوات الجمادات أو الحيوان.

وحرف الميم في أواخر الكلمات يدلّ على الانقطاع و التّشديد كالجزم و الكتم وهذا عند العقّاد أيضا، فكلماتها لا تخلو من الدّلالة على التّوكيد و القطع الذي يدلّ على المعاني الحسّيّة كما يستعار المعاني القطع بالرّأي و الإصرار على العزيمة، مثال: الحتم، العزم، الكظم...

وحرف السين نقيض الميم لدلالته على المعاني اللّطيفة كالهمس و الوسوسة و الحسّ...، ولكنّه يتغيّر حسب موقعه من الكلمة، مثل: السد و الشد، ورأي العقّاد أنّه ربّما فعلت المجاورة فعلها عند نقل الحروف من الدّلالة على المعاني اللّطيفة إلى الدّلالة على غيرها كما يحدث في كلمات الكسر والعسر...، ومشتقّاتها و فروعها وهي غير مجاورة الياء و الفاء في التّيسير و التّفسير.

والدّلالة الصّوتيّة هي الدّلالة اللّفظية عند ابن جنّي وهي أقوى الدّلالات، وتحدث من طبيعة بعض الأصوات وتكون مطردة باستفادتها من الأصوات اللّغويّة الصّادرة من جهاز النّطق وهي الاصطلاحيّة.

ومثال العقّاد في الكتمان من الكتم شبيه بالكظم و القظم في الحركة الحسّيّة الّتي نتصوّرها عند الإكراه على كتمان الصّوت و النّفس، ولكن الكتمان يوحي إلى الذّهن بالمعنى اللّطيف حين نريد به الخفاء و السّكوت...[1].

[1] –أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص47.

وهناك بعض الأصوات قد لا تتناقض في معناها لكن قد تتناقض في ارتباطها بالمعاني و الألفاظ الأخرى لأنّ ليست لها معاني ثابتة، ومثال أيضا: كلمة الجليل و القليل من حيث اللّفظ وجب أن يكون معناهما واحدا لأنّ القاف لا تقلّ في التّفخيم، والعبرة من القلّة و الكثرة أنّ: القليل من القوّة مثلا كثير من الضّعف و الكثير من المرض قليل من الصّحة، والخطب إذا جلّ قلّ الصّبر على احتماله و الجليل إذا غطّى الشّيء فالّذي يظهر منه قليل.

وهناك القول الشّهير: خير الكلام ما قلّ و دلّ.

وحسب ما تقدّم، فإنّ الحروف ترتبط بدلالة الكلمات، فعند التقائها و تكوينها للكلمة تمثّل لنا دلالة و معنى تختلف من كلمة إلى أخرى و حسب قوّته.

واللّغة العربيّة من اللّغات السّامية الباقية لأنّ حروفها فصيحة متميّزة عكس اللّغات الأخرى.

خامسا: تيسير على قاعدة:

التّيسير أدب من آداب الإسلام في أمور الدّنيا والدّين، واليسر بمعنى الكثرة والتّيسير عند الله هو التّسهيل والتّوفيق، أمّا القاعدة هي مجموعة من القوانين والضّوابط يجب العمل بها وإتّباعها، فهي المادّة المستعملة في الدّراسات العلميّة وفي الحياة أيضا.

ومن مقاصد اللّغة الّتي يشتغل بها دعاة الإصلاح ودعاة التّجديد تيسيرات كثيرة نذكر منها تيسير الكتابة، وتيسير النّحو، وتيسير العروض، وتيسير التّعريب[1].

والتّيسير مطلوب لذاته حيثما تيسر فلا يحسن بنا أن نستصعب وبين أيدينا باب من أبواب اليسر نطرقه على أمل قلّ أو كثر، فيما هو أيسر وأقرب إلى الإمكان[2].

بمعنى أنّه أينما وجد التّيسير سهل المهام فهو عبارة عن كثرة الحلول في مجال من المجالات المعرفيّة، وكما قال العقّاد[3]: (ويحقّ لنا أن نذكر أنّ الكتابة والنّحو والعروض والتّعريب إنّما هي جميعا في أصل وضعها تيسير لمطلب لم يكن باليسير، وربّما كان عمل الأقدمين في تيسير الكتابة بالنّقط تارة والشّكل تارة

1- أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 50.

2-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

3-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

أخرى، وتقسيم الخطوط وقواعد الرّسم تارات متتابعات، أعظم كلفة وأبعد أمدا ممّا نتكلّفه الآن لتيسير الرّسم والهجاء).

ممّا يعني أنّ الكتابة والنّحو والعروض والتّعريب وضعوا لتيسير واحد آي جاءت بهم اللّغة العربيّة، حيث تطوّر العلم من علمائها والمهتمّين بهذا المجال.

وأنّ النّحو هو في أساسه صناعة تيسر كسب السّليقة ونجاحه في هذا المركب الصّعب أمر لا يختلف فيه من يطلبون له اليوم مزيدا من النّجاح، والعروض كالنّحو في تيسير الملكة المطبوعة بوسائل الصّناعة ويلحق بهما التّعريب في إجرائه للكلام الأعجمي مجرى الكلام العربي بلفظه أو بمعناه[1].

فالنّحو هو الأساس الذي يبني النّطق بالكلام بطريقة صحيحة والذي قد يأتي بالسّجيّة والفطرة ومن غير تعلّم، وفي نجاحه تتطوّر لغتنا وتنمو ملكتنا ورصيدنا اللّغوي، والعروض حاله حال النّحو وكذا التّعريب الذي يكون في ألفاظ اللّغات الأجنبيّة حيث نحصل على معنى واحد بلفظين معرّبين.

ولا مشاحة في التّيسير، ولا يعذر قادر على التّيسير يتركه لغير ضرورة ليتجشّم الصّعب العسر وهو مكتوف اليدين[2].

لذا فالتّيسير في مثل هذه الحالة لن يتيسر على غير قاعدة بل هو جهد ضائع ليس له حدود ولا يكون له هدف إذا أخطأ.

ومن علامات الانحراف البعيد عن الوجهة الّتي اعتمدها العقّاد أن[3] يحسب المجددون أنّهم ينتهون يوما إلى كتابة لا تحتاج إلى التّعليم أو كتابة تكفي وحدها لتيسير القراءة الصّحيحة بمعزل عن اللّغة أو بلغة خالية من القواعد والأصول الّتي يجتهد فيها المعلّم و المتعلّم في كلّ مرحلة من مراحل التّدريس، وقد تجسّمت علامات هذا الانحراف في أقوال فريقين من طلاب التّجديد أو طلاب التّبديل:

-فريق يقول: أنّه يتمنّى للّغة العربيّة أن تصبح كاللّغات الغربيّة يقرؤها الطّالب المبتدئ كما تكتب بغير حاجة إلى الحفظ والاستذكار.

1-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 50.

2-المرجع نفسه، ص51.

3-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

-وفريق يقول على مذهب بعض فلاسفة التّربيّة في العصر الحديث: إنّ العلم كلّه، سواء علم اللّغة أو علم الطّبيعة أو سائر العلوم الإنسانيّة ينبغي أن يساق إلى التّلميذ كأنّه تجربة يتلقّاها من وحي البيئة المدرسيّة ومن جهوده المكتسبة، ليختفي أثر المعلّم ويختفي تكليف التّعلّم وتأتي المعرفة إليه طواعيّة في مرحلة بعد مرحلة من معاهد التّعليم.

ذلك أنّ اللّغة العربيّة لها صعوبات مقارنة باللّغات الأخرى، والّتي يراها خالية من الصّعوبات وسهلة في التّعامل بها وتعلّمها، كما أنّه تمتاز بمفرداتها العديدة.

وقد ذكر العقّاد الأبجديّات الثّلاثة الأوربيّة وهي[1]: "لاتينيّة"يكتب بها سكّان أوربا الغربيّة على الأكثر، و"غوطيّة"يكتب بها الجرمان على الأكثر، و"كيرلية"يكتب بها مشارقة القارّة على الأكثر، ولا يتّفق فيها نطق الكلمة المكتوبة على ألسنة أمّتين ولو كانت لهما أبجديّة واحدة من هذه الأبجديّات الثّلاث، وأظهر ما يظهر ذلك في كتابة الأعلام فمنها:

*اسم"جيمينز" Jimenez مثلا ينطق بالخاء في الإسبانيّة، وبالياء في الألمانيّة، وبالجيم المعطّشة في الإنجليزيّة.

*اسم Franklin ينطق "فرنكلن" بالإنجليزيّة، وينطق "فرانكلا" بالفرنسيّة.

*واسم Guilliam ينطق "جليوم" بالألمانيّة، و"جيوم" بالفرنسيّة، و "وليام" بالإنجليزيّة.

أمّا الحروف فمنها ما يلفظ على خمسة أصوات كحرف (T) الذي ينطق "تاء"كما في كلمة (to) و"ثاء" كما في كلمة (think) و"ذالا" كما في كلمة (this) و"شينا" كما في كلمة (Mention) و"سينا" كما في هذه الكلمة نفسها بالفرنسيّة.

*وكذلك حرف (g) ينطق جيما قاهريّة كما في (God) وجيما قرشيّة كما في (gem) وجيما معطّشة كما في (Religion) وقد يكتب ولا ينطق كما في (right)، وبعض حروف العلّة تقترن فتنطق على أربعة أصوات كما في هذه الكلمات Food moon و blood doom

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 52.

أمّا قواعد النّحو والصّرف فالطّالب مضطرّ إلى حفظ مئات الأفعال لشذوذها في التّصريف بين المضارع والماضي واسم المفعول، وإلى حفظ الأسماء لشذوذها على قواعد الجمع، وإلى حفظ مئات الصّفات والظّروف لأنّها لا تجري على قاعدة مطردة في اشتقاق الصّفة والظّرف من الاسم أو من الفعل أو من صفة أخرى.

وهذا يعني للّغة العربيّة قواعد علينا حفظها والعمل بها للتّفرقة بينها فللأفعال شذوذ في تصريفها وللأسماء شذوذ في قواعد جمعها وللصّفات و الظّروف شذوذ فليس لكلّ هذه قاعدة ثابتة.

ولا حيلة للطّالب في التّفرقة بين صيغ الكلمات المنقولة إلى الإنجليزيّة من اللّاتينيّة أو من الإغريقيّة أو من السكسونيّة أو من سائر اللّغات القديمة أو الحديثة، والغربيّة أو الشّرقيّة، فإنّ طريقة الإنجليز في (نجلزة) الأعلام والكلمات أصعب من طريقتنا في التّعريب[1].

إذن فإنّ اللّغة الإنجليزيّة واللّغات الأوربيّة الأخرى هي ضياع للجهد والوقت في تيسير محاكاة قواعدها عامّة.

وعبارة العقّاد في هذا أنّ[2]: معرفة الحروف وقواعد الإملاء لا تغني الطّالب عن الحفظ و الاستذكار.

حيث جاء بأنّ التّربويّين أخفوا تيسير التّعليم على يد المعلّم والذي هو عمله وواجبه المهني، وبهذا فقد أسقطوا شعور المعلّمين عند قيامهم بمهنتهم ممّا أدّى إلى تجاهل وهدم حقائق الحياة، فواجب المعلّم يبدأ منذ نشأة الطّفل في مراحله الدّراسيّة الأولى.

ومن وقائع الحياة —كما ذكر العقاد– التّي لا سبيل إلى محوها أنّ التّعلّم ضرورة لازمة من ضرورات الحياة لكلّ فرد ينشأ بين أبناء نوعه ولا يستطيع —مهما يبلغ من جهده– أن يستوعب محصول المعارف النّوعيّة خلال الأجيال المتعاقبة، وليست له مصلحة في جهل هذه الحقيقة وهو يتوجّه إلى المدرسة لينفي عنه الجهل بما هو أبسط من هذه الحقيقة ويدرك عمل العقل والفهم وحدود الفكر الإنساني بين الفرد الواحد والنّوع الكامل من ماضيه البعيد إلى مستقبله البعيد[3].

---

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 53.

[2]-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

[3]-المرجع نفسه، ص 54.

فالتّعلّم والتّعليم شيئان أساسيّان في حياتنا فبهما نستطيع متابعة مشوارنا، والمدرسة أمّ لنا نستعين بها لنطوّر أنفسنا وندرك مسائل علميّة قد جهلناها من قبل.

وأكثر مهنة والأشياء الّتي قد تصادفنا ونأمل بها منذ طفولتنا هي التّعليم، فهو أكثر واجب ومهنة نميل إليها فبه نثقّف عقولنا وننمّيها.

وقد طرح العقّاد سؤالا قد يكون رأيا وخيما يرجع اللّوم في مقال من يسأل مثل هذا السّؤال[1]: هل يتعلّم الإنسان ليتكلّم؟ هل تعلّم لينطق؟ هل يتعلّم ليقرأ ما هو مكتوب أمام عينه؟

فإنّ السّائل الذي يفوه بهذا السؤال يخيل إليه أنّه سؤال غنيّ عن الجواب، وأنّ جوابه إذا تكلّف أحد أن يجيبه هو: كلّا، بكلّ تأكيد !

ومن السّخريّة أنّ الإنسان يسأل لعدم طلبه منه أن يتعلّم للكلام وليتعلّم لحسن الكتابة ممّا يؤدّي إلى حسن القراءة بطلاقة فيصبح حيوانا ناطقا لكلّ المعاني وفهمها وإدراكها.

والتّيسير يكون حينما يطلبه المستطيع، والتّعلّم واجب يؤدّي إلى اجتهاد المتعلّمين لتعلّم لغتهم والحفاظ عليها وتطويرها والأخذ بقواعدها.

[1]- أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عباس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 54.

الفصل الثالث

الدّراسة اللّغويّة للكتاب

الدّراسة اللّغويّة للكتاب:

من المقارنة بين اللّغات:

أوّلا: الجملة الاسمية:

سنتطرّق في هذا الموضوع عن المقارنة و المقابلة بين اللّغة العربيّة "لغة الضّاد" و اللّغات الأجنبيّة، ونكتشف بعضا من المزايا.

والجملة في تعريف النّحاة هي الكلام الذي يتركّب من كلمتين أو أكثر و له معنى مفيد مستقلّ[1]، فالجملة العربيّة هي نوعان: جملة فعليّة و جملة اسميّة ولكلّ جملة أحوالا خاصّة تختلف عن الجملة الأخرى.

فالجملة الاسميّة هي الّتي تبتدئ باسم، أو هي الّتي يقع الاسم في أوّلها وقوعا أصيلا بمعنى أنّ الاسم في أوّلها يستحقّ الابتداء و إن تأخّر عن صدر الجملة[2]، ولها ركنان أساسيان يربطهما الإسناد:

*المبتدأ: وهو الاسم الذي يقع أوّل الجملة ويسمّى المسند إليه.

*الخبر: وهو الذي يكمل الجملة مع المبتدأ، ويتمّم معناها الرّئيسي وله حالات عديدة إمّا يكون اسم أو فعل ونقول عن جملة فعليّة في محلّ خبر، أو جار ومجرور أو ظرف ونقول عنه شبه جملة.

وجاءنا العقّاد بأنّ[3]: (الجملة في اللّغات الأوربيّة اسميّة، يتقدّم فيها الفاعل على الفعل و لا يتقدّم الفعل فيها إلّا شذوذا في حالات قليلة جدّا أهمّها حالة الدّلالة على المفاجأة و وقوع الفعل على غير انتظار، فإذا تقدّم الفعل لمثل هذا السبب...، فإنّهم لا يقسمون الجملة إلى اسميّة و فعليّة من أجل ذلك، ولكنّهم يحسبونه عارضا من عوارض القلب الّتي يحدث فيها أن يتقدّم الفعل على الفاعل كما يتقدّم حرف الجرّ أو الظّرف أو الصّفة، لمناسبة يقتضيها التّعبير).

آي أنّ في اللّغات الأوربيّة يتقدّم الفعل على الفاعل في الجملة الاسميّة ليدلّ على المفاجأة و أن يقع دون توّقعه و يرجعونه في هذه الحالة شبيها بحروف الجرّ والظرف والصّفة ليدلّ على معنا يراد إيصاله.

---

[1] –التّطبيق النحوي، د.عبده الراجحي،دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط 2، 1998، ص 83 .

[2] – الموسوعة النّحوية و الصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر علي عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 249.

[3] –أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 56.

وبعض الغربيّين من أصحاب نزعة التّصوّف من يقول إنّ الاختلاف بين الأوربيّين و أبناء اللّغة العربيّة في مسألة الجملة الاسميّة إنّما هو اختلاف في درجة الشّعور (بالثّبوت) للشّخصيّة الإنسانية، فإنّ (ثبوت) هذه الشّخصية ملازم للتّفكير الأوربي و لكنّه ضعيف عند الشّرقيّين يسري ضعفه من الفكر إلى اللّسان، كما يظهر من غلبة الجملة الاسميّة على ألسنة الأوربيّين و غلبة الجملة الفعليّة على ألسنة النّاطقين بالضّاد.[1]

ومن هذا المنظور نرى أنّ العقّاد يقصد من هذا القول أنّ الأوربيّين يهتمّون بإبراز الفاعل في كلامهم و يذهبون إلى الجمل الاسميّة حيث يعتمدونها كثيرا في كلامهم، أمّا الشّرقيّين فيبرزون الفعل أكثر من الفاعل حيث تكون له الأولويّة عند صدور الكلام، وتعرف لغتهم بلغة الضّاد وهذا كلّه له سبب في تعليل هذا الرّأي من حيث الظّواهر اللّغويّة عند كلّ منهما و حسب المراحل التّاريخيّة الّتي مرّا بها.

وعند العقّاد، فإنّ هذا التّعليل الذي يذهبون إليه غير مقنع، وقد يكون مناقضا للواقع عند التّأمّل فيه من بعض نواحيه.[2]

وأوّل مواضع الخطأ فيه أنّ القول بتغليب الفاعل على الفعل في اللّغات الأوربيّة غير صحيح، فإنّ مكان الفعل في تلك اللّغات أثبت من مكانه في لغة الضاد، ويجوز أن يخلو مكان الفعل الظاهر من الجملة العربيّة و تفيد معناها المستقلّ مع تقديره أو تقدير ما ينوب عنه، فيجوز مثلا أن يقال (رجل في الدار) ويفهم من قولهم باللّغات الأوربيّة (رجل يوجد في الدّار) أو ما يفهم من قولنا بلغتنا العربيّة (رجل موجود في الدّار) بل يجوز أن نفهم من الجار و المجرور بلغتنا ما يفهم من معنى الصّفة حيث نقول: (رجل في الدار خير من ألف رجل في الخارج).

وهذا يدلّ على أنّ في اللّغات الأوربيّة يغلب الفاعل على الفعل لكن في لغة الضاد يثبت من مكانه ومن فهم المعنى الذي تؤدّيه الجملة و يجوز بدل الفعل الظاهر وضع ضمير يدلّ عليه يكون مستترا،

[1] –أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 57.

[2] –المرجع نفسه وكذلك الصفحة.

مثال:(مدير في المؤسسة) باللّغات الأخرى يفهم (مدير يوجد في المؤسسة) ويجوز تقدير الفعل في الجملة الأولى باسم يدلّ على الفاعل وهو (موجود).

وعندما نذهب إلى اللّغات الأوربيّة فإنّه لا يتمّ المعنى واضح إلّا بوجود الفعل الظاهر، فذكر العقّاد أنّه[1]: (إذا وردت في كلامهم فقرة من جار ومجرور لا يصحبهما فعل ظاهر أطلقوا عليه اسم "العبارة" Phrase تمييزا لها من "الجملة" Sentence الّتي اشتقّت عندهم أصلا من مادّة الفهم أو مادّة الإدراك، فكلّ كلام خلا من الفعل الظّاهر عندهم فهو لفظ غير مفهوم).

ومن هذا المنطلق فإنّ الأوربيّين يعتمدون كثيرا على الفعل الظاهر، فإن خلا فليس له دلالة يؤدّيها.

وجاء العقّاد أيضا بمثال آخر وهو الصّفة[2]: (أنّ الصّفة عندهم متقدّمة على الاسم الموصوف، ولا يخف أنّ الصفة تشبه الفعل على وجه من الوجوه، وهو وجه الإخبار عن الاسم الموصوف).

و المعروف أنّ الصّفة هي اسم مشتقّ يدلّ على ثبوت صفة من الصّفات لدى صاحبها، ومثال العقّاد[3]: (أنّ العربي يقول "كلام جميل"أو"فضل عظيم" فيلحق الصّفة بالموصوف، ويجعل عنايته بالاسم مقدّمة على عنايته بالإخبار عنه، ولكن الأوربي يعكس وضع الكلمتين).

بمعنى أنّ الفاعل لا يكون عبارة عن شخصيّة إنسانيّة فقط –كما تطرّقنا من قبل– بل يمكن أن يكون كلمة تؤدّي معنى معيّن قد يكون معنا معنويّا أو شيئا جامدا، فليس بالأخصّ أن يكون إنسانا فغيره لا يدلّ تقديمه على توكيد "الثّبوت للشخصيّة الذّاتيّة"، وهنا فلا فرق بين الشّرقيين و الأوربيّين بالنّسبة إلى الفاعل إن كان ظاهرا أو ضميرا مستترا.

وقد نسى أصحاب التّعليلات –عند العقّاد– الّتي قدمناها أنّ اللّغات الهنديّة الجرمانيّة تتكلّم بها أمم كثيرة مختلفة الأمزجة و الأفكار من أقصى حدود الهند إلى أقصى حدود القّارّتين الأمريكيتين، فليست تراكيبها اللّفظيّة دليلا صالحا لتعليل الاختلاف بالعقول والأفهام أو بقواعد النّحو والبلاغة.[4]

---

[1] – أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 58.

[2] –المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

[3] –المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

[4] –المرجع نفسه، ص 59.

إذن فإنّ الاختلاف بين اللّغات و اللّغة العربيّة ليس له تعليل ممّا سبق ولابدّ من وجود علّة أخرى تفسّر لنا هذا الاختلاف، وقد جاءنا العقّاد[1] بعلّة لهذا الاختلاف أنّ اللّغة العربيّة أوفى و أكمل من اللّغات الأوربيّة، وأنّ اللّغات الأوربيّة انتقلت من أطوارها الأولى إلى أطوارها الّتي ازدهرت فيها قبل أن "تتنوّع"فيها أوضاع الكلمات و الجمل على حسب موضوعات التّفكير و الإدراك.

فإنّ اللّغة العربيّة ثابتة في قواعدها و أحكامها منذ أمد طويل بينما اللّغات الأوربيّة تطوّرت و ازدهرت من زمن إلى آخر، وتنوعّت فيها كلماتها و معانيها.

وذكر لنا العقّاد[2] في هذا الباب أنّ الجملة الاسميّة موجودة في اللّغة العربيّة و ليست مع وجودها قليلة الاستعمال في مواضعها، فليس تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزا عن التّركيب الّذي يتقدّم فيه الفاعل على الفعل، ولكنّه تقسيم الكلام على حسب مواضعه و تصحيح لموقع الفعل و موقع الفاعل من إرادة المتكلّم و فهم السّامع.

وفي كلام الأوربيّين و استعمالهم فقط الجملة الاسميّة نقص كبير، أمّا في اللّغة العربيّة فلكلّ جملة معنا وكليهما تؤدّيان كمالا في اللّغة ذاتها، ففي الجملة الفعليّة يكون الاهتمام بمن قام بالفعل، أمّا في الجملة الاسميّة ننتظر سماع خبر الشّخص الذي نتحدّث عنه وذلك في مثال العقّاد:[3]("محمّد حضر" إذا كنّا ننتظر خبرا عن محمّد أو عن حضوره على الخصوص؛ ولكنّنا نقول "حضر محمّد" لمن يسمع خبرا من الأخبار على إطلاقه ولا يلزم أن يكون الخبر عن محمد و لا عن الحضور بل لعلّ السّامع كان ينتظر كلاما عن حسن و عن عليّ كما ينتظره عن محمّد، أو لعلّه خبر سفر و ليس بخبر حضور منتظر أو غير منتظر).

في الجملة الأولى نريد سماع خبر عن محمّد سواء حضر أو ذهب أو رحل، أمّا في الجملة الثانية فليس الحديث عن محمّد فقط بل قد يكون عن شخص آخر، واللّغة العربيّة تسمح بابتداء جملتها بحرف جرّ و عند الأوربيّة هذا ليس له معنى في كلامها.

---

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص59.

[2]- المرجع نفسه، ص 60.

[3]-المرجع نفسه، ص 61.

قال العقّاد:[1] فإذا قال العربيّ:("في الدّار رجل" فهو كلام مفيد، وتقديم الجار و المجرور فيه مقصود لأنّه يشتمل على تنبيه لا يؤدّيه هذا الأداء قول القائل " رجل في الدّار").

ومن وراء هذا هناك قصد يراد تقديمه و الاهتمام يقع في الجملة الأولى (في الدار رجل) يريدون التنبيه إلى (في الدار) وليس على (الرجل).

لكن هذا عند الأوربيين غير مفيد ولا يوجد في لغتهم، فالأولويّة عندهم للجملة (رجل في الدار)، ومن خلال هذا فإنّ الجملة الاسميّة في اللّغة العربيّة تحمل معنا كبيرا تريد إيصاله لذا قد تؤكّد على شيء لإبرازه دون غيره.

ثانيا: الفاعل في اللّغة العربيّة بين المبني للمعلوم و المبني للمجهول:

المعلوم في اللّغة العربيّة أنّ الجملة الفعليّة تقوم على ركنين هامّين هما:

*الفعل: وهو الرّكن الثّاني للكلمة بعد الاسم وهو الكلمة الدّالة على الحدث مصحوبا بزمن.

*الفاعل: هو اسم يدلّ على من قام بالفعل و يأتي دائما مرفوعا بعلامة أصليّة وهي الضّمّة وعلامات فرعيّة متنوّعة، وقد يتغيّر من إنسان إلى حيوان إلى شيء جامد.

وسندرس ضمن هذا العنوان مقارنة بين اللّغة العربيّة و اللّغات الهنديّة الجرمانيّة في موضوع الفعل المبني للمعلوم –ويأتي بعده الفاعل– و الفعل المبني للمجهول –وما بعده نائب الفاعل–، وسنركّز على ما بعد الفعلين لنثبت أثره في المعنى و مدى مكانته في الجملة الفعليّة.

والفعل المبني للمعلوم هو الفعل الذي يصحب فاعله في الجملة ظاهرا أو مقدّرا[2]،و فاعله هو الاسم المسند إليه ويكون إمّا صريحا أو مؤوّلا، حكمه الرّفع ويكون على طريقة فعل أو شبهه، ونبرز هذا على النّحو الآتي[3]:

*فعل: –الصّريح: قام زيدٌ.

---

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 62.

[2]–الموسوعة النّحوية و الصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر علي عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 401.

[3]-ألفية ابن مالك في النّحو والصّرف، د. زين كامل الخويسكي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، الإسكندريّة، ط 1، 2003، ج 2،ص 43،44.

-المؤوّل: يعجبني أن تقوم (قيامك).

*شبه الفعل: -اسم الفاعل: أقائم الزّيدان ← فاعل سدّ مسدّ الخبر.

-الصفة المشبّهة: زيد حسنٌ وجهه ← فاعل للصّفة المشبّهة (حسنٌ).

-المصدر: عجبت من ضرب زيد عمرًا.

-اسم الفعل: هيهاتَ العقيقُ.

-الظّرف: زيدٌ عندك أبوه.

-الجار والمجرور: في الدار غلاماه.

-أفعل التّفضيل: مررت بالأفضل أبوه.

وحكم الفاعل التّأخّر عن رافعه ولا يجوز تقديمه عليه، وأشار بقوله: "فإن ظهر" إلى أنّ المرفوع إن ظهر فلا إضمار، نحو "قام زيد" وإن لم يظهر فهو ضمير، نحو "زيد قام" آي: هو.

تقول الألفية: وبعد فعل فاعل، فإن ظهر ☆ فهو، وإلّا فضمير استتر

أمّا الفعل المبني للمجهول هو ما حذف فاعله و أنيب عنه غيره[1]، وسمّي: نائب الفاعل: وهو حذف الفاعل ويقوم المفعول به مقامه، فيعطى ما كان للفاعل من لزوم الرّفع ووجوب التّأخّر عن رافعه، وعدم جواز حذفه، وذلك نحو: "نيل خير نائل" والأصل "نال زيد خير نائل" تقول الألفية:[2]

ينوب مفعول به عن فاعل ☆ فيما له، كنيل خير نائل

وله عدّة صيغ:[3]

*إن كان ماضيا كسر ما قبل آخره وضمّ كلّ متحرّك قبله، نحو: حُفظَ.

*إن كان مضارعا ضمّ أوّله وفتح ما قبل آخره، نحو: يُقطَعُ.

---

[1] -قواعد اللّغة العربيّة، العلامة حفني ناصف والعلامة محمد دياب و فضيلة الشّيخ مصطفى طمّوم ومحمود عمر و العلامة سلطان بك محمد،مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 1997، ص 67.

[2] - ألفية ابن مالك في النّحو والصّرف، د. زين كامل الخويسكي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، الإسكندريّة، ط 1، 2003، ج 2،ص 63.

[3] -المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

*إن كان ما قبل آخر الماضي ألفا "قال" قلبت ياءً وكسر ما قبلها "قيل".

*إن كان ما قبل المضارع مدّا "يقول" قلب ألفا "يُقَال".

*والفعل اللازم لا يبنى للمجهول إلّا إذا كان نائب الفاعل: مصدرًا أو ظرفا أو جارا و مجرورا.

وقال العقّاد أنّ: الفعل المبني للمعلوم موجود في لغتنا وفي اللّغات الأخرى، ولكن صيغة المبني للمجهول تختلف كثيرا بين هذه اللّغات، لأنّ اللّغة العربيّة تدلّ على المبني للمجهول بصيغة خاصّة في أوزان الفعل الثلاثي والفعل الرّباعي أو الخماسي أو الفعل المزيد على الجملة، ولكن اللّغات الأخرى تدلّ على المبني للمجهول بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين، مثال: نحن نقول: (فَتَحَ "الرجلُ" الباب)، ونقول: (فُتحَ الباب) بصيغة المجهول ولكن العبارة الأوربيّة الّتي تدلّ على ذلك تقابل قولنا: (إنّ الباب يكون مفتوحا، أو إنّ الباب صار مفتوحا) وهو تعبير يخلو من دقّة الصّيغة العربيّة، لأنّه أقرب إلى الوصف منه إلى الإخبار، و لاسيما التّعبير الغالب عندهم وهو ما يقابل قولنا (إنّ الباب مفتوح).[1]

إنّ اللّغة العربيّة لها أوزان صرفيّة تعتمدها في دراستها وفي قواعدها حيث لكلّ فعل وزن يصاغ عليه، وأنواع الأفعال مختلفة ومنها ما يتكوّن من حرفين وهناك من ثلاثة أحرف، وهناك من أربعة أحرف وهناك من خمسة أحرف، ومن ستّة أحرف ولكلّ منهم وزن يطبّق عليه بينما اللّغات الهنديّة الجرمانيّة غير ذلك، فهو عندهم الفعل قريب للوصف فهو يصف مثلا حالة الباب الّتي يكون عليها، بينما في اللّغة العربيّة فالفعل يدلّ على إخبارنا عن الباب، ومن هذا فإنّ الفعل المبني للمجهول عند اللّغات الأخرى يكون بصيغة و لفظ غير ذلك في اللّغة العربيّة لكن لهما نفس المعنى المراد إيصاله.

– وفي المثال الأوّل الذي قدّمه العقّاد (فتح الرجل الباب) يدلّ على الخبر عمّن فتح الباب آي من قام بفتح الباب وهو الفاعل (الرجل).

[1] – أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 63.

– وفي المثال الثاني أيضا (فُتحَ الباب) يدلّ على التّشوّق عن معرفة من هو الفاعل لكن المتكلّم لا يعرف هو أيضا من قام بالفعل أو يمكن أن يكون هذا الشّخص –الفاعل– معروف عند المتكلّم لكن لا يريد ذكره.

وأقرّ العقّاد[1] أنّ اللّغة العربيّة تزيد بصيغة لا وجود لها عندهم وهي صيغة الفعل المطاوع، مثال: (انفتح الباب) ويعبّر عن معنى لا تدلّ عليه دلالته الدّقيقة كلّ من صيغة المبني للمعلوم وصيغة المبني للمجهول، ويظهر الفارق في الدّلالة على المعاني عند استخدام هذا الفعل في الجمل المفيدة على حسب دلالتها.

وفي هذه الصيغة ينتظر الإنسان فتح الباب فقط ولا يعنيه من قام بالفتح أو إن كان معروف عند المتحدّث أو مجهول، وعند النّظر في (انفتح) يكون المعنى مفهوما عكس الحالتين السابقتين ولا يكون بينهما خلط أو غموض.

وفي هذه الأمثلة الثلاثة تظهر دلالتها في مقتضى الحال لكلّ جملة، وقال العقّاد: (و اللّغة الدّقيقة الّتي استوفت وجوه الدّلالة هي اللّغة الّتي تلاحظ مقتضى الحال في كلّ عبارة من العبارات الثلاث، ولا تستخدم عبارة واحدة لموضعين ملتبسين بل تستخدم كلّ عبارة لموضعها الذي لا لبس فيه، وهذه هي صفة اللّغة العربيّة في وفائها بالمعاني المقصودة على حسب إرادة المتكلّم و السّامع، أو على حسب ضرورة التّفاهم بين الاثنين)[2].

تمتاز اللّغة العربيّة عن باقي اللّغات بمناسبتها كلّ عبارة ما تقتضيه دلالتها، فهي تستعمل كلّ لفظ في محلّه وفي موضعه الذي يناسبه، وتبتعد عن الإبهام واللّبس الذي قد يؤدّي لفظ في موضعين مختلفين؛ فاللّغة العربيّة ثابتة في أصولها و جذورها متجدّدة بفضل ميزاتها وخصائصها.

وجاء العقاد أنّ: (درجة الفاعليّة في الاسم تثبت في اللّغة العربيّة باستخدام صيغ أخرى تتمّ هذه الصّيغة من صيغ البناء للمعلوم أو البناء للمجهول أو فعل المطاوعة)[3]، بمعنى أنّ صيغ البناء للمعلوم

[1] – أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 63.

[2] –المرجع نفسه، ص 64.

[3] –المرجع نفسه و كذلك الصّفحة.

والبناء للمجهول وفعل المطاوعة هو الذي يبرز، ويبيّن لنا ما بعده إن كان فاعلا أو نائبه وهذا ما درسناه سابقا.

ثمّ درج لنا صيغة المبالغة الّتي تؤخذ من مادّة الفعل نفسه بغير حاجة إلى مادّة مستعارة من غيرها ولا يثنّى إلّا من الفعل الثلاثي، ففي اللّغة العربيّة "فعّال" للمبالغة تعطينا من مادّة الفتح كلمة "فتّاح" بمعنى كثير الفتح و المقدّر على الفتح على السّواء، ولا مقابل لهذه الصّيغة في اللّغات الهنديّة الجرمانيّة إلّا باستخدام جملة أو عبارة مركّبة من عدّة كلمات[1]، مثال: شخص حاقد فإذا كان كثير الحقد قلنا إنّه حقود؛ وصيغة المبالغة هي التي تعمل عمل الفعل بشروط اسم الفاعل.

وقد عرّفها بعض النّحاة بأنّها اسم يدلّ على زيادة وصف في الموصوف[2]، وتتأتّى على خمسة صيغ كثر استعمالها هي:

-فعّال: غفّار، وتستعمل أيضا بمعنى صاحب الحدث وعلى الأخصّ الحرف، نحو: خبّاز، نجّار...

-فعول: غفور.

-مفعال: مسماع.

-فعيل: سميع.

-فَعل: فهم.

ولا نجد هذه الصيغ في اللّغات الهنديّة الجرمانيّة إلّا باستخدامهم جملا أو بتركيبهم لعدّة كلمات، وهي تمثّل اسم الفاعل مع إفادة المبالغة.

وقدّم لنا العقّاد أنّ (في اللّغة العربيّة صيغة من صيغ المبالغة تحكي الصفة المشبّهة باسم الفاعل، لأنّها تدلّ علة حالة ملازمة بغير اعتبار الحدث و الزّمن ومنها في فتح كلمة "فتوح" بمعنى المطر في أوّل

[1] -أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 64.

[2] -الفرائد اللؤلؤية في القواعد النّحويّة، العلامة علوي بن طاهر الحداد العلوي الحضرمي، دار النّجاح للكتاب، الجزائر، ط 1، 2015، ص 73.

موسمه، فإنّ لها دلالة غير دلالة كلمة "فاتح" وغير مجرّد المبالغة، لأنّ الفاتح لا يلزم منه التّكرار كما يلزم من الفتوح).[1]

أمّا الصفة المشبّهة –قول العقاد– فهي أعجب من ذلك في دقّة الفهم ودقّة الوضع، وجريان الأوزان والمشتقّات في هذه اللّغة على أساس عميق يدلّ على عراقتها كما يدلّ على بعد عهد أبنائها بالتّفرقة بين المفاهيم الذّهنيّة، ومن هذه الدّقة أنّ اسم الفاعل لا يوجد في مواد الكلمات التي لا يقصد بها الحدث في الزمان، وإنّما توجد الصّفة المشبّهة وحدها لأنّها أوفق لأداء معنى الصّفات الملازمة في صيغة الفاعل أو صيغة الإحداث.

ويقصد من هذا أنّ الصّفة المشبّهة تؤدّي المعنى بشكل مفهوم وصحيح عكس اسم الفاعل، فهي تعبّر عن الحدث في زمانه و تبرزه لدى الآخرين بحيث تفرّق بين الأوزان و المشتقّات وتجمع في صفاتها بين صيغة الفاعل و صيغة الإحداث لتعطينا كلمة واحدة تدلّ عليهما.

والصّفة المشبّهة باسم الفاعل هي: وصف يدلّ على من قام به الفعل على وجه الثّبوت وهي اسم مشتقّ يصاغ من الفعل الثلاثي اللازم، ويكون على ثلاثة أوزان:[2]

–فَعَلَ (بفتح العين) ولها أوزان مختلفة، منها: طيّب (من طاب).

–فعِل (بكسر العين)، مثال: فرِح، ولها الأوزان الآتية:

*أفعَل (و مؤنّثه فعلاء)، مثل: أحمر، حمراء.

*فعلان (و مؤنّثه فعلى)، مثل: عطشان، عطشى.

–فعُل (بضمّ العين)، مثال: حَسُنَ، ولها الأوزان الآتية:

*فعِيل: مثل: شَرِيف

*فَعْل: مثل: عَذْب

*فُعَال: مثل: شُجَاع

[1] – أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 65.

[2] –قواعد اللغة العربية، فؤاد نعيمة، نهضة مصر،مصر، ط 19، 1928، ص 48،49.

*فَعَال: مثل: جَبَان

*فَعَل: مثل: بَطَل

*فُعْل: مثل: حُلْو

وتعمل الصّفة المشبّهة عمل اسم الفاعل المتعدّي إلى واحد لأنّها مشبّهة به، ويستحسن فيها أن تضاف إلى ما هو فاعل لها في المعنى، نحو: "أنتَ حَسَنُ الخُلق، نقِيّ النّفس، طاهِر الذّيل"، ولك في معمولها أربعة أوجه:[1]

- أن ترفعه على الفاعليّة، نحو: عليٌّ حسنٌ خُلْقُهُ.
- أن تنصبه على التّشبيه بالمفعول به، إن كان معرفة، نحو: عليٌّ حسَنٌ خلقَه.
- أن تنصبه على التّمييز، إن كان نكرة، نحو: عليٌّ حسنٌ خلقًا.
- أن تجرّه بالإضافة، نحو: عليّ حسنُ الخلقِ.

وجاء العقّاد بمثال تفسيري لمعنيين من نفس المصدر، وهو ما تجري على الألسنة كلمة "كريم" و لا تستخدم "كارم" مع سهولتها على اللّسان في وصفها المطرد، لأنّ الكرم صفة لا تحدث في كلّ عطاء أو كلّ منحة...، ولكنّه صفة ملازمة ولو لم يحدث فعل الكرم غير مرّة واحدة أو مرّات معدودة، فإنّ الذي يعمل عمل الكرماء "كريم" ولو لم تتجدّد أعماله أو هباته...، ومن قيل إنّه "كرم" فأفعال الكرم منتظرة منه على الدّوام وليست كالحادث المرتهن بزمان محدود.[2]

فكارم على وزن (فاعل) سهل في نطقه وله معانيه، فهو من العمل المتكرّر و الكرم ليس بصفة تحدث لتدلّ على أيّ لفظ بل هو صفة ملازمة لعمل الكرماء، وما يدلّ على هذا العمل لفظ "كريم" فهي صفة تبرزه في معانيها العديدة.

[1] -جامع الدروس العربية، للشّيخ مصطفى الغلاينيّي، دار البصائر، الجزائر، د ط، د ت، ص 577،578.

[2] -أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 66.

ثمّ ذكر لنا العقّاد المطابقة بين الأحكام و المعاني في باب الصّفة الّتي تقتضي الموافقة بين معاني النّعوت على حسب المقصود منها، والصّفة المشبّهة آية الآيات في توضيح هذه الدّقّة الّتي لا نظير للّغة العربيّة فيها عند التّفرقة بين الصّفات بفروق لفظيّة تحيط بأعمق ما بينها من فروق المعنى[1].

ففي القواعد العربيّة نجد الصّفة بمعنى النّعت وهو ما يتبع ويصف الاسم الذي قبله في التّذكير والتّأنيث، وفي التّعريف و التّنكير، وفي الإفراد و التّثنية و الجمع وحتّى في الإعراب أيضا، مثال: نجح الطّالبُ المجتهدُ.

أمّا الصّفة المشبّهة هي الأداة الفعّالة لتوضيح المعنى بدقّة، والّتي تبيّن الصّفات بفروق لفظيّة و فروق معنويّة.

ومثال العقّاد هو: الكريم معطاء و المعطاء كريم، ولكن صفة الكريم تأتي من فعل لازم و صفة المعطاء تأتي من فعل متعدّ إلى مفعولين، لأنّ الكرم يعبّر عن الخلق الثّابت الذي لا يتوقّف على حدث في زمن محدود، ولكن المعطاء يفعل أفعالا تجعله موصوفا بالمبالغة في الإعطاء[2].

والإعطاء عكس الكرم، فالإعطاء عمل متكرّر أمّا الكرم صفة ثابتة، والفرق بين الصيغ في الفعل مثلا (يعطي) و الاسم (الكرم) وما يدلّان عليه، وهو منطق اللّغة الذي يفهم بالقياس و بالسّماع والتّوقيف.

ومن أوزان التّفضيل نجد الوزن المشهور "أفعل" في الصّفة المشبّهة أيضا فهي صفة ملازمة ثابتة، وتكون بين موصوفين فتدلّ على تفضيل وزيادة في نوع من هذين الموصوفين، مثال: هذا الرّجل أشدّ سوادا من الآخر؛ ومن هذا فإنّ اللّغة هي الّتي تبرز الفاعل في الجملة الفعليّة سواء أن كان اسما ظاهرا أو ضميرا، وهذا واضح أكثر في اللّغة العربيّة فهي عكس اللّغات الأوربيّة.

وقد عرض العقّاد في المبني للمعلوم و المبني للمجهول الأفعال الّتي ترد على الدّوام مبنية للمجهول، وتدلّ في الأغلب الأعمّ على الإصابة بالعلل و الطّوارئ الّتي لا عمل فيها لإرادة المصاب أو الّتي

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 66.

[2]-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

يكون المصاب فيها أبدا بمقام نائب الفاعل، ولا يكون فاعلا مريدا لفعله من الكلمات "زكم، صرع، هزل و فلج" وما جرى مجراها، ومن اللّغويّين من يقول إنّ هذه الأفعال بنيت على المجهول اجتنابا لنسبة المرض إلى فاعله في هذا المقام، وهو الله[1].

والمقصود من هذا أنّ المبني للمجهول يدلّ على وجود خلل في المعنى حيث أنّ الفاعل يحذف و لا يدلّ على فعله فيبرز نائبه ليدلّ على المعنى، والعرب قبل الإسلام في دعائهم يذكرون الله كثيرا و في كلامهم فينسبون الفعل إلى الله، مثل: شفاه الله، وفي القرآن الكريم أيضا آيات تنسب أفعالها إلى الله عزّ وجلّ لأنّها تذكير و تضرّع و تقرّب؛ لذا فالأفعال المبنية للمجهول ترد على قدر المصاب بها.

وإنّ كلمة "مات" تأتي على غير البناء للمجهول لأنّها فعل لازم لا مفعول له غير المصاب به، ولأنّ الإصابة بالموت سواء في كلّ من مات و لا اختلاف فيه بين المرّات و الدّرجات، ولمثل هذا السّبب ترد الصّفة المشبّهة من اللّازم في غير الثّلاثي كالمطمئن و المستقيم وما في معناهما، لأنّ اللّازم أقرب من المتعدّي إلى صفة اللّزوم وأبعد منه عن الحدث المتكرّر[2].

فالفعل اللّازم هو الذي يكتفي بفاعله ولا يحتاج إلى مفعول به، والموت يأتي مرّة واحدة ولهذا تأتي الصّفة المشبّهة من الفعل اللّازم غير الثّلاثي.

ثالثا: مقارنة لغويّة في ضمائر الجنس و العدد:

الضّمائر قديمة قدم اللّغة فلها مفهومها و تأدية للمعنى، وقد أقرّ العقّاد أنّ[3]: (من أقدم ألفاظ اللّغة الضّمائر وما إليها من الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، لأنّها وجدت مع أقدم الأسماء في وقت واحد لتنوب عن اسم الشّخص المخاطب والغائب ومن هو في حكمه، فيقول المتكلّم لمن يخاطبه (أنتَ) ويقول عن الغائب أو الحاضر الذي لا يتّجه إليه الخطاب (هو) ويستغنى بذلك عن إعادة الأسماء في كلّ خطاب أو إشارة).

---

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 68.

[2]-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

[3]-المرجع نفسه، ص 70.

وعرّف علماء النّحو الضّمير بأنّه[1]: اسم مبني يدلّ على متكلّم أو مخاطب أو غائب-وهو ما يدلّ على صاحبه بدون الحاجة إلى قرينة، فهو بلفظه دال على شيء يدركه السامع في جلاء و وضوح[2]- وهو ثلاثة أقسام: منفصل، متّصل و مستتر.

1-الضمائر المنفصلة: هي ما استقلت بالنّطق، وهي قسمان:

أ-ضمائر رفع منفصلة: وتكون في محلّ رفع مبتدأ أو خبر أو فاعل أو نائب فاعل، وهي:

-للمتكلّم: أنا، نحن.

-للمخاطب: أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنّ.

-للغائب: هو، هي، هما، هم، هنّ.

ب-ضمائر نصب منفصلة: وتعرب في محلّ نصب مفعول به، وهي:

-للمتكلّم: إيّاي، إيّانا.

-للمخاطب: إيّاكَ، إيّاكِ، إيّاكما، إيّاكم، إيّاكنّ.

-للغائب: إيّاه، إيّاها، إيّاهما، إيّاهم، إيّاهنّ.

2-الضمائر المتّصلة: وهي ثلاثة أقسام:

أ-ضمائر رفع متّصلة: وتكون دائما متّصلة بالفعل أو ب "كان و أخواتها"، وهي:

-تاء الفاعل، مثل: درستُ، درستَ...

-نا، مثل: درسنا.

-ألف الاثنين، مثل: درسا.

-واو الجماعة، مثل: درسوا.

-ياء المخاطبة، مثل: تدرسين.

-نون النّسوة، مثل: درسن.

---

[1] - قواعد اللغة العربية، فؤاد نعيمة، نهضة مصر،مصر، ط 19، 1928، ص 113.

[2] -الموسوعة النّحوية و الصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر علي عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 338.

*وضمائر الرفع المتّصلة السابق ذكرها:

-إمّا أن تتّصل بالفعل وتكون مبنية في محلّ رفع فاعل، مثل: قَرَأْتُ الصحف.

-أو تتّصل ب"كان و أخواتها" وتكون مبنية في محلّ رفع اسم كان، مثل: كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس.

ب-ضمائر نصب متّصلة: وتكون متّصلة بالفعل أو بأنّ و أخواتها، وهي:

-ياء المتكلّم، مثل: شكرني.

-نا، مثل: شكرنا.

-كاف المخاطب، مثل: شكرك.

-هاء الغائب، مثل: شكره.

*وضمائر النّصب المذكورة:

-إمّا أن تتّصل بالفعل وتكون مبنية في محلّ نصب مفعول به، مثل: الأناشيد الوطنيّة تهزّنا.

-أو تتّصل بأنّ وأخواتها وتكون مبنية في محلّ نصب اسم إنّ، مثل: إنّه موجود.

ج-ضمائر جرّ متّصلة: وتكون متّصلة بالاسم أو بحرف الجرّ، وهي:

-ياء المتكلّم، مثل: كتابي.

-نا، مثل: كتابنا.

-كاف المخاطب، مثل: كتابك.

-هاء الغائب، مثل: كتابه.

* وضمائر الجرّ المذكورة:

-إمّا تتّصل بالاسم وتكون مبنية في محلّ جرّ مضاف إليه، مثل: العلم له فوائده.

-أو تتّصل بحرف الجرّ وتكون مبنية في محلّ جرّ، مثل: أخذت القلم منك.

3-الضمائر المستترة: هي ما ليست لها صورة ظاهرة تلفظ بها، وهي نوعان:

أ-الضمير المستتر وجوبا: هو الذي لا يصح أن يحل محلّه الاسم الظاهر، ويكون مستترا وجوبا:

*في فعل الأمر للواحد المخاطب، مثل: اكتُبْ –فإن ذكر الضمير أصبح توكيدا له.

*في فعل المضارع المبدوء بتاء خطاب الواحد أو المبدوء بالهمزة أو بالنون، مثل: تشكرُ، أوافقُ، نكتبُ.

ب–الضمير المستتر جوازا: هو الذي يصحّ أن يحلّ محلّه الاسم الظاهر، ويكون مستترا جوازا في كلّ من الفعل الماضي و الفعل المضارع المسند إلى الغائب أو الغائبة، مثل: الرجل قام، الشمس تشرق.

و بالنّظر إلى الأسماء فهي عكس الضمائر، فالأسماء في تطوّر و تزايد مع تطوّر اللّغة لذا كان أيضا في رأي العقّاد أنّه[1]: لا يخفى أنّ الأسماء لا توجد في القدم دفعة واحدة و لا تزال في ازدياد و تغيير مع تطوّر اللّغة و اتّساعها، فهي لا تصلح كلّها للمقارنة بين اللّغات المختلفة و بخاصّة مقارنة اللّغات التي يراد بها الدّلالة على القدم أو على أحوال اللّغات في مادّتها الأولى، أمّا الضّمائر فهي محدودة معدودة لا يصعب إحصاؤها أو تتبّع أدوارها في تطوّراتها و تبديلاتها، فهي موضوع من موضوعات المقارنة بين أقدم اللّغات و أحدثها، وهي أدلّ من الأسماء على عراقة اللّغة و تطوّر استعمالها على حسب الحاجة إليها.

يبيّن رأي العقّاد أنّ الأسماء لازالت تنمو و تتزايد مع تطوّر اللّغة لذا لا تصلح للمقارنة بين اللّغات و عكسها الضّمائر الّتي لها نسبة محدودة و ثابتة، ونجدها في جميع اللّغات كما نجد المقارنة لها بين اللغات القديمة و الحديثة، فالضمير يقابله الاسم الظاهر الذي يدلّ مباشرة على صاحبه وهو رمز له، ولكلّ من الضّمير و الاسم الظاهر قوّته في الاستعمال؛ بمعنى أنّ الضمير يصلح لما لا يصلح له الاسم الظاهر و العكس صحيح.

أمّا كونه اسم فلأنّه يقبل بعض علامات الاسم وهو يقبل دخول حرف الجرّ، نحو: منه، ويقبل الإسناد، نحو: أنت شجاع.

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 70.

وقال العقّاد أنّ: اللّغة العربيّة أعرقها تطوّرا وتدرّجا في الاستعمال على حسب الحاجة، فليست مزيتها الكبرى أنّها قديمة معرقة وحسب ولكنّها تصنيف إلى ذلك مزية أخرى، وهي تمام التّطوّر في استعمال الضمائر حيث تظلّ اللّغات الحيّة ناقصة أو جامدة لا تقبل النّموّ على جذورها الحيّة من جديد[1].

وقد درسنا من قبل عنوان "أقدم اللّغات" وهو دليل قاطع على أنّ اللّغة العربيّة أقدم اللّغات الحيّة ومن اللّغات كلّها، و الّتي يذهب إليها اليوم كلّ الأشخاص لتعلّمها وتداولها بينهم لكنّها أقلّ تداولا منهم، واللّغة العربيّة قديمة بدلالة ضمائرها و أسمائها فهي تحتوي عليها جميعها و أصولها ثابتة حيث تستعمل في الكلام المناسب لها.

وجاء العقّاد أيضا بأنّ[2]: الضمائر في اللّغات الجرمانيّة و اللّاتينيّة هائيّة أو ذاليّة أو لاميّة، ونعني بالهائيّة ما يظهر فيها حرف الهاء، وبالذّاليّة ما يظهر فيها حرف الذّال و مقابلاته في اللّغات الأخرى، وباللّاميّة ما يظهر فيها حرف اللّام كما يظهر في الألف

و اللّام الموصولة عندنا؛ ففي الإنجليزيّة تستعمل he (هي) لضمير المذكّر الغائب (هو) باللّغة العربيّة، وكانت (هيو) تستعمل لضمير المؤنّث الغائب heo إلى القرن الثّاني عشر مقابلة (هي) باللّغة العربيّة، ومن أسمائهم الموصولة what (هوات) بضمّ الهاء، و whose (هوز) وهي تستعمل عندهم كثيرا في مواضع الذي و التي و الإضافة للملكيّة، وفي اللّهجات الجرمانيّة و التيوتونيّة تستعمل (زي) zij في الدنماركيّة و (زيو) في السكسونيّة القديمة و (زو) في الإيسلانديّة بمعنى (هي) بالعربيّة.

وفي اللّغات اللّاتينيّة تستعمل (ال) Il بمعنى (هو) وتدخل (ال) التّعريف بلفظها و معناها على بعض الأسماء الاسبانيّة –وهي تدلّ على التّعريف في اللّغة العربيّة–.

وهذا دالّ على أنّ أصلها عربيّ أخذتها اللّغات الأخرى ووضعتها بمعنى آخر، لهذا مازالت اللّغة العربيّة متطوّرة في ألفاظها مقارنة بألفاظها القديمة ولازالت هي الأمّ، فهذه الضّمائر متطوّرة الاستعمال ولها

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 71.

[2]-المرجع نفسه وكذلك الصفحة.

مواضع تبرز فيها و مثّل لنا العقّاد هذا بما هو ظاهر في الدّلالة على الجنس و الدّلالة على العدد، ولا مثيل للّغة العربيّة في كلتا الدّلالتين.

وذكر العقّاد أنّ[1]:الجنس في الأغلب الأعمّ من اللّغات الهنديّة الأوربيّة ينقسم إلى ثلاثة أقسام: مذكّر و مؤنّث و محايد،آي ليس بالمذكر ولا بالمؤنّث –بمعنى أنّه وسط لا يقرب لا مذكر و لامؤنّث له معنى خاص–، وهذا وضع عقلي مخطئ لأنّ التّقسيم الصّحيح في الجنس المتميّز أنّه مذكّر و مؤنّث وليس هناك جنس ثالث متميّز يدعى بالمحايد –وهذا ما نجده في اللّغة العربيّة فقط والّتي تمتاز بجنسين فقط– بل هناك أشياء لا جنس لها أصلا يستعار لها الجنس على سبيل المجاز، فتلحق بالمذكّر أو المؤنّث على حسب المناسبة عند وضعها، وليس هناك ثالث ولو على الشذوذ كما يعرض للذكر المشكل أو للأنثى المشكل، فإنّهما في حقيقة التّقسيم ذكر غير متميّز أو أنثى غير متميّزة ولا ثالث للجنسين يسمّى بالجنس المحايد بينهما.

واسم الجنس إنّه لفظ معناه معنى الجمع، وإذا زيدت على آخره تاء تأنيث –غالبا– صار مفردا، أو هو ما يفرّق بينه و بين واحده بزيادة تاء التّأنيث –غالبا– في آخره[2].

ولإثبات هذا إنّ اللّغة العربيّة تميز للضّمائر و الأسماء في حالة المفرد و حالة الجمع، مثلا: (أَنتَ) للمذكّر المخاطب و (أَنتِ) للمؤنّث المخاطب و (هم) للجمع المذكّر، و (هنّ) للجمع المؤنّث.

أمّا الأسماء فهي أيضا جنسين، مثلا: المعلّمون (للمذكّر) و المعلّمات (للمؤنّث) و منه نميّز علامات جمع المذكّر و علامات جمع المؤنّث، وكذا نميّز بين الضمائر في حالات الفعل النّحويّة و الصّرفيّة للجنسين، وهذا ما نجده فقط في اللّغة العربيّة حيث تلتزم بقواعدها و ضوابطها و تحافظ عليها عكس اللّغات الحيّة الأخرى.

وذكر العقّاد أنّه[3]: من أدقّ الفوارق العقليّة الملحوظة في مسألة الجنس أنّ اللّغة العربيّة لا تفرق بين الدّلالات الجنسيّة بتقسيمها إلى مذكّر و مؤنّث أو محايد بين الجنسين، ولكنّها تفرق بينها بتقسيمها

---

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 72.

[2]-النّحو الوافي، عبّاس حسن، دار المعارف، مصر، ط 3، 1975، ص 21.

[3]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 73.

إلى ما يدلّ على العاقل وما يدلّ على غير العاقل، وهذا هو التقسيم العقلي المنطقي الصّحيح مستقرا في تكوين اللّغة لأنّها لغة متطوّرة بالاستعمال إلى ما يناسب الكلام والتّفكير، فالفرق بين (من وما) في اللّغة العربيّة هو فرق بين عاقل وغير عاقل وليس فرقا بين جنس مذكّر أو مؤنّث وجنس محايد بينهما لا هو بالذكر ولا بالمؤنّث، ولا بالمشكل الذي يحسب مذكرا تارة ومؤنّثا تارة أخرى.

ممّا يعني أنّ اللّغة العربيّة تهتمّ بمسألة الجنس من حيث دلالتها على العاقل و غير العاقل ومثال هذا (من وما).

وقد تحدّث العقّاد أيضا بأنّ[1]: من علامات التّطوّر في ضمائر اللّغة العربيّة دلالتها الصّحيحة على العدد كدلالتها الصّحيحة على الجنسين أصلا و استعارة، فالضّمائر في اللّغات الهنديّة الجرمانيّة لا تعرف غير حالتين لضمير العدد هما حالة الإفراد و حالة الجمع، ولكن اللّغة العربيّة تعرف لها حالة ثالثة هي حالة المثنّى وهو من وجهة التّفكير المنطقي ليس بالمفرد و لا بالجمع، فإن اثنين لا يكونان جماعة من النّاس أو غيرهم، و الواحد لا يقابل حالة الجمع وحدها بل يقابل أيضا حالة الواحد مع واحد آخر لا أكثر، وليس واحد و واحد بالكثرة الجماعيّة و لكنّهما واحدان غير منفردين.

إنّ اللّغة العربيّة غنيّة بقواعدها الّتي تختلف عن اللّغات الأخرى و الّتي لا توجد في غيرها، فمثلا المثنّى لا يدلّ على الجمع لأنّ المثنّى من اثنين و الجمع يتكوّن من ثلاثة فما فوق، ونقول أنّ هناك ضمائر العدد فواحد هو الإفراد و اثنان هما المثنّى و ثلاثة و أكثر هم الجمع، وكلّ من هذه الضّمائر تبرز و تبيّن لنا إن كانت هذه الجماعة من الأفراد كبيرة أو صغيرة، وفي الجمع لا يكون ثلاثة أو أربعة هو أكبر عدد بل يمكن أن تمثّل عشرة أو مئة فكلّها تمثّل جماعة.

وتهتمّ اللّغة العربيّة بالتّفرقة بين جموع القلّة و جموع الكثرة، فمن خلال هذه الضّمائر ندرك ما يدلّ على القلّة و ما يدلّ على الكثرة ولكلّ منهما أوزانها، فمثلا في أوزان القلّة نجد[2]:

-أَفْعِلَة، نحو: أَعْمِدَة

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 74.

[2]-الموسوعة النّحوية و الصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر علي عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 228-239.

-أَفْعُلٌ، نحو: أَبْحُرٌ

-أَفْعَال، نحو: أَبْوَاب

-فِعْلَة، نحو: صِبْيَة

و أوزان الكثرة، نذكر منها:

-فُعْلٌ، نحو: خُضْرٌ

-فِعْلٌ، نحو: بِيضٌ

-فَعْلَى، نحو: جَرْحَى

-فِعْلَان، نحو: غِلْمان

-فَعَائل، نحو: رَسَائل

ومن خلال هذا الموضوع نستنتج أنّ لكلّ من جموع القلّة و جموع الكثرة أوزان لها صوت أصلي ندرك منه إن كان ينتمي إلى جموع القلّة أو الكثرة، ولهذا وضعت اللّغة العربيّة قواعدها الّتي ينظر إليها في هذه المواضيع لأنّها متطوّرة ولا نجد هذا في اللّغات الأوربيّة.

رابعا: الصّفة في اللّغة العربيّة:

الصّفة في اللّغة العربيّة هي دلالة على شيء من الأعيان أو المعاني[1]، ويقول العقّاد عن الصّفة[2]:(أنّها من أقوى الدّلالات على ضبط الأداء في لغة من اللّغات، وهي أقوى من الاسم دلالة على ضبط الأداء في المفردات وفي تراكيب التّعبير، فما من لغة متقدّمة أو متأخرّة تخلو من الأسماء بعدد الأشياء الّتي يتحدّث عنها أهلها، ولكن اللّغات الّتي تقدر الصفات على حسب الموصوفات هي اللّغات الّتي تطوّرت بقواعد التّعبير و التّمييز بين مواضع المعاني و الألفاظ أو التّطبيق بين الكلمة ومعناها).

من هنا فإنّ الصفة لها قيمة كبيرة في اللّغة حيث أنّ قواعدها تتطوّر بها، فهي عكس الأسماء لأنّها تميّز بين أماكن المعاني و الألفاظ و الجمع بين الكلمة و معناها، أمّا الأسماء فقد تخلق مع الإنسان

[1]-جامع الدروس العربية، للشّيخ مصطفى الغلاينيّي، دار البصائر، الجزائر، د ط، د ت ، ص 76.

[2]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 85.

وتكون توقيفيّة من عند الله و بالفطرة، فالإنسان منذ خلقه تخلق معه أسماء الأشياء وقد نجد بعض من الكلمات منقولة و مأخوذة من لغة أخرى بحروفها أو بعض منها، وهذا ما نقول عنه بالتّعريب مثل: تلفزيون (Télévision)، وقد تكون مطلقة في أصولها لأدنى مناسبة تشير إليها آي قد تشير إلى شيء أو مكان، فمثال العقّاد[1] للاسم الشّائع باسم (كبريت) وأصله نسبة إلى جزيرة قبرس بمعنى القبرسي لأنّها كانت في الزمن القديم أشهر البلاد بمناجم الفوسفات الّتي تصنع منها عيدان الثّقاب، لأنّ الكلمة غريبة عن لغتنا وهي إذا ردّت إلى أصلها لم يكن لها معنى غير أنّها شيء منسوب إلى جزيرة كما ينسب إليها الأحياء و غير الأحياء المنتمون إليها، ولكن هذه المناسبة اليسيرة كافية لتكوين الأسماء أوّل الأمر ثمّ سيرورتها على الألسنة بغير بحث عن مناسبتها الأولى.

آي أنّ اللّغات الأخرى تنسب كلماتها إلى جزيرة أو مكان فتربطها مع أشياء أخرى، وهذا ما جعلها كثيرة فتكوّن الأسماء ثمّ تنشط في الألسنة عند تداولها مع الآخرين، أمّا الصفات –عند العقّاد– فلابدّ من المطابقة بينها و بين الموصوفات في كلّ كلمة و كلّ مناسبة، ولابدّ للّغة الوافية من أن تستوفي أدواتها و تحسب لها حسابها و إلّا كان النّقص في تكوين الصّفة و تطبيق شروطها نقصا أصيلا في وسائل الدّلالة اللّغويّة.

فالصّفة تتّبع الموصوف في جميع حالاته و تغيّراته وتسمّى أيضا بالنّعت فيأتي لفظها كذلك تابعا لمعناها في علامات التّذكير و التّأنيث وفي بعض الأوزان، وهو نوعان[2]:

–النّعت الحقيقي: وهو ما يصف الاسم الذي قبله في التّذكير و التّأنيث، و التّعريف و التّنكير، و الإفراد و التّثنيّة و الجمع وفي الإعراب، مثال: فاز التِّلْمِيذُ النَّجِيبُ.

–النّعت السّببي: وهو لا ينعت الاسم السّابق عليه وجه الحقيقة (وإن كان يسمّى في الاصطلاح النّحوي منعوتا أيضا)، لكنّه ينعت اسما ظاهرا يأتي بعده و يكون مرفوعا به مشتملا على ضمير يعود

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 85.

[2]-التّطبيق النحوي، د.عبده الرّاجحي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط 2، 1998، ص 371.

على الاسم السّابق، وهذا الأخير هو الذي يسمّى السّببي لأنّه يتّصل بالسّابق بسبب ما، فأنت تقول[1]: هذا رجلٌ مجتهدٌ ابنُهُ.

-ها: حرف تنبيه مبني على السّكون لا محلّ لها من الإعراب.

-ذا: اسم إشارة مبني على السّكون في محلّ رفع مبتدأ.

-رجل: خبر مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره، وهو منعوت.

-مجتهد: نعت مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره.

-ابنه: فاعل مرفوع بالضّمّة الظّاهرة وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبني على الضّمّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

واللّغة العربيّة هي الأولى والوحيدة الّتي تمّت لها أدوات الصّفة وشروطها والّتي درستها من كلّ الجوانب ومثّلتها بأمثلة معبّرة عنها بأنواعها، واللّغة العربيّة هي من لغات الحضارة لأنّها جامعة للدّروس و القواعد و الشروط الّتي تفرّقت بين اللّغات الكبرى والّتي انتشرت في الزّمن الحاضر وفي الزّمن المتقدّم، وقد نجد بعض لغات الحضارة قد تطرّقت إلى هذا الموضوع لكن اللّغة العربيّة أكثرهم لأنّ قواعدها مطردة، ومثال هذا ما أتى به العقّاد[2]: في الإنجليزيّة وهي لغة يتكلّم بها اليوم أكثر من مائتي مليون إنسان تأتي الصّفة سابقة لموصوفها، فيقال مثلا: (واحد عظيم رجل) بدلا من رجل عظيم، ويقال (عظيم رجال) بدلا من رجال عظماء...، ولا تتغيّر الصّفة تبعا لتغيّر مواقع الإعراب بين موقع الفاعل أو موقع المفعول و مواقع الأسماء المجرورة.

والفرق واضح بين الصفة الملازمة لموصوفها و الصّفات المتعلّقة بالأفعال و المرّات.

وكما جاء في الأمثلة السّابقة تحت عنوان (الفاعل) الفرق بين كلمة "كريم" وكلمة "معطاء" في الصيغة والمادّة والدّلالة، فالكرم صفة دالّة على الخُلُق الذي يتحلّى به الإنسان وبين العطاء والكريم والمعطي فرق في الصفة وليس في الكميّة، فالمعط يمكن أن يكون للمرّة الواحدة وهو فاعل لفعل من أفعال

[1]-المرجع نفسه، ص 372.

[2]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 86.

الكرم، و المعطاء–عند العقّاد– الذي يعطي مرات كثيرة ولا يلزم من ذلك أن يكون كريما أو يكون عطاؤه من عنده، فربّما كان المعطاء في معنى من معانيه مرادفا للصراف على هذا الاعتبار.

ومن ثمّ وجدت في اللّغة العربيّة صيغة اسم الفاعل وصيغة الصّفة المشبّهة وصيغة المبالغة، وكلّ هذه تختلف في اللّفظ و الدّلالة على حسب المعنى، ومن قواعد الصّفة في تأنيثها إن كان الموصوف مؤنّثا على الحقيقة أو على المجاز، فهي تؤنّث بالمعنى الذي تحمله لا بلفظها، مثلا: امرأة حامل و امرأة مرضع تدلّ على المؤنّث لكن لا تحمل علامة التّأنيث وهي التّاء.

وقال العقّاد عن هذا أنّ[1]: اللّبس بين التّذكير و التّأنيث ممتنع في هذه الصّفات ولكن التّاء قد تلحق بالصّفة إذا كان ملحوظا فيها الفعل ولم يكن الملحوظ فيها هو الحالة كما جاء في الشّاهد المشهور: أيا جارتا بيني فإنّك طالقة كذاك أمور النّاس غاد وطارقة

وخلاف البصريّين و الكوفيّين على سبب حذف التّاء الدّائم وليس لحالات فقط.

فالبصريّون يقولون[2]:(إنّما حذفت علامة التّأنيث لأنّ قولهم طالق وطامث وحائض وحامل في معنى ذات طلاق وطمث وحيض وحمل على معنى النّسب آي أنّها قد عرفت بذلك كما يقال رجل رامح ونابل... ولا خلاف هنا على التّفرقة بين حالة الدّوام وحالة الحدث المتكرّر مرّة أو مرّات، أمّا الأسماء الّتي يتساوى فيها المذكّر و المؤنّث فالغالب فيها أنّها أسماء أخذت مأخذ الصفات المشتركة الّتي لا فارق فيها بين صدورها من المذكّر أو صدورها من المؤنّث كالضّبع والفرس والعقاب والنّعامة وما إليها من أسماء الحيوان المشتركة، فإنّ الضّبع هنا أخذت صفة الجائحة الّتي تأتي على كلّ شيء كالسنة المجدبة.

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإنّ قومي لو تأكلهم الضّبع

والفرس صفة من الفراسة و الفرس أو التّفرّس كأنّها اسم الجنس يطلق على الذّكور و الإناث).

[1]–أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 88.

[2]–المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

ولم يأت هذا الإبهام عن قصور اللّغة في التّسميّة ولا عن نقص في علامات التّأنيث و التّذكير، فإنّ التّاء قد تدخل على الضّبع كما تدخل على الفرس وقد يسمّى ذكر الضّبع بالضّبعان ويسمّى ذكر الخيل بالحصان وتسمّى أنثاها بالحجر، وقد عرف ذكر النّعام باسم الظليم، وعرفت أنثى النّسر والعقاب باسم أمّ قشعم مع الالتباس بين العقبان والنّسور[1].

ومن هذا فإنّ تغليب المعنى على اللّفظ فيه إبهام حسب الصّفة المقصودة بين السّامع والمتكلّم، وما نستخلصه أنّ في استعمال المصدر في مكان الصفة فهو واحد من مدلوله لأنّ معنى المصدر لا يتغيّر مع الفاعل المذكّر أو المؤنّث، ولا مع الواحد أو الكثيرين فإنّ "العدل" واحد في صفته يدلّ على جميع الحالات فلا يحتاج لعلامات التّأنيث أو الجمع إذا أردنا الاستغناء عنها، ومن الأمثلة: رجل عدل وامرأة عدل، فالأسماء تدلّ هنا على حكم المضاف والمضاف إليه فيما يدلّ على المعنى، ومنه يتّضح أنّ اللّغة بنيت على التّفرقة بين المعاني في التّذكير والتّأنيث.

وجاء العقّاد أنّ[2]:(دقّة اللّغة لا تظهر في منطقها الخاص بها من شيء في قواعدها، كما تظهر في مواضع التّسوية بين التّذكير و التّأنيث في بعض صيغ المبالغة إذ يتساوى رجل راوية وامرأة راوية ويتساوى رجل صبور وامرأة صبور...، فإنّ في المبالغة نوعا من الكثرة والزّيادة يلحقها بكثرة الجمع، ويجري عليها ما يجري على "كلّ جمع مؤنّث" من قبيل "قالت الرجال وقالت النّساء"، وهو التفات عجيب يدلّ على تناسق خفي وراء هذه القواعد يبعدها عن خلط المصادفة والارتجال).

ويتّضح من هنا وجود فرق بين الكلمات المؤنّثة في اللّغة العربيّة والّتي تخلو من علامات التّأنيث وكلمات الجنس المشترك في اللّغات الأخرى، ونجد في هذه اللّغات كلمات كثيرة ناقصة التّمييز والّتي تعوّض بضمير مؤنّث ليدلّ عليها، أمّا في اللّغة العربيّة لكلّ كلمة علامة تبرزها أو قد تكون مؤنّثة أو مذكّرة مجازيا لكن تفهم من سياق الكلام، ويقول العقّاد عن هذا الموضوع[3]:(ليس السبب راجعا إلى نقص العلاقات و الصيغ أو إلى قواعد اللّغة على العموم، ولكنّه راجع إلى التّصوّر النفساني الذي

---

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 89.

[2]- المرجع نفسه، ص 90.

[3]-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

يوحي إلى الذهن إلحاق بعض الأشياء بهذا الجنس أو ذاك على حسب العوامل الكثيرة الّتي تعمل عملها في هذه التّفرقة عند أبناء اللّغات أجمعين)؛ آي أنّ التّصوّر الذّهني هو الذي يلحق الأشياء والأسماء بجنسها المناسب وذلك بتدخّل عوامل تفرّق بينها.

وهذا موضوع الصّنفة تأخذنا إلى تأكيد أنّ اللّغة العربيّة هي أمّ اللّغات وأقدمها، وتؤكّد هذا عند العرب والآخرين.

خامسا: الظّرف في اللّغة العربيّة:

الظّرف في اللّغة العربيّة يضمّ ظرف زمان و مكان، فظرف الزّمان يدلّ على زمن حدوث الفعل[1]، نحو: اليوم، بكرة، أصيلا، حينا، ربيعا، إبّان، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلۡأٓخِرَ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ الأحزاب: ٤٢

ظرف المكان فهو يدلّ على مكان حدوث الفعل، نحو: أسماء الجهات السّت (فوق، تحت، يمين، شمال، أمام، خلف)[2].

وأسماء المقادير، نحو: (سار ميلا، فرسخا)[3]، وكذلك نجده في المشتقّات،نحو: جلست مجلس، وضمّهما الظرف لأنّه يتصوّر وجود مكان أو زمان دون أن يكون حدث يحدث فيهما وحكمه النّصب لفظا أو محلّا، ونقول عنه منصوب على الظّرفيّة آي لدلالته على مكان وقوع الحدث وزمانه[4].

فهو اسم ينتصب على تقدير "في" بذكر لبيان زمان الفعل أو مكانه، أمّا إذا لم يكن على تقدير "في" فلا يكون ظرفا بل يكون كسائر الأسماء، على حسب ما يطلبه العامل فيكون مبتدأ وخبرا، نحو: (يومنا يوم سعيد)، وفاعلا، نحو:(جاء يوم الجمعة) ، ومفعولا به، نحو:(لا تضيّع أيّام شبابك)[5].

و عامل النصب في الظرف، هو:[1]

---

[1]-قواعد الإعراب، أحمد محمد متولي، دار الشّافعي للنّشر و التّوزيع، قسنطينة، د ط، د ت، ص 68.

[2]-التّطبيق النّحوي، د.عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط 2، 1998، ص 228.

[3]-قواعد اللغة العربية، حفنى ناصف والشيخ مصطفى طمّوم ومحمد دياب ومحمود عمر وسلطان بك محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ص76.

[4]-التّطبيق النّحوي، د.عبده الراجحي،دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط 2، 1998، ص 228.

[5]-جامع الدروس العربية، للشّيخ مصطفى الغلاييني، دار البصائر، الجزائر، د ط، د ت ،ص 421.

-المصدر، مثل: "العمل صباحا أفضل من العمل مساء".

-الفعل بأنواعه الثّلاثة، مثل: "صلّيت خلف إمام ورع"،"السّراب يُرَى ظهرا"،"تَرَيَّضْ صباحا".

-الوصف الحقيقي (وهو الاسم المشتقّ)، مثل: "الشّعب المرجانيّة موجودة تحت الماء".

-الوصف التّأويلي (وهو الاسم الجامد الذي يصحّ تأويله بصفة من الصّفات)، مثل: "أنت حاتم عند الكرم" فكلمة (حاتم) اسم جامد يتضمّن معنى (كريم).

-النّداء، مثل: "يا سائرا تحت المطر".

تنقسم الظّروف إلى قسمين هما:[2]

أ-الظّروف المتصرّفة: وهي ما يستعمل ظرفا وغير ظرفا، منها: يوم، ساعة، مساء، ليل، برهة، كيلومتر، يمين، جنوب، شرق، وغيرها؛ وهذه الظّروف يمكن أن تستعمل ظرفا (آي للدّلالة على زمان أو مكان وقوع الفعل وبالتّالي تكون منصوبة باعتبارها مفعولا فيه)، مثل: تغرد الطّيور صباحا، تقع سيناء شرق قناة السويس.

-كما يمكن أن تستعمل غير ظرف وبالتّالي تعرب بحسب موقعها في الجملة (مبتدأ، فاعل، إلخ...).

ب-الظّروف غير المتصرّفة: ولا تستعمل إلّا ظرفا، ومنها: حين، أثناء، طوال، خلف، فوق، بين، عند، لدى، تلقاء، نحو، حول، دون، وغيرها؛ وتكون دائما منصوبة على الظّرفيّة أينما وقعت في الكلام وهي:

-إمّا أن تقع مفعولا فيه (آي تدلّ على زمان أو مكان وقوع الفعل وتكون مسبوقة بفعل) وبالتّالي تكون منصوبة، مثل: تطير الطّائرات فوق السّحاب، (فوق: ظرف مكان مفعول فيه منصوب بالفتحة).

-أو تقع خبرا للمبتدأ أو صفة، وتكون منصوبة بفعل محذوف وجوبا.

---

[1]-الموسوعة النّحويّة والصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر عليّ عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 351.

[2]-قواعد اللغة العربية، فؤاد نعيمة، نهضة مصر،مصر، ط 19، 1928، ص 74.

*مثل: الجنّة تحت أقدام الأمّهات، (تحت: ظرف مكان خبر، وهو منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره تستقرّ).

*مثل: مررت برجل عندك، (عند: ظرف مكان صفة لرجل، وهو منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره استقرّ).

وعند العقّاد[1] يستخدم الظرف في اللغة لبيان الظروف التي تحدث فيها الأفعال والتّمييز بين "كيفيات" وقوعها أو توقيعها.

فالظّرف يبيّن لنا متى وقع الفعل وأين ونستعمله في لغتنا حيث ينمّي رصيدنا ويساعدنا على فهم القصد من الكلام.

وجاء العقاد بأنّ[2]: علماء اللّغات يستدلّون بكثرة الظّروف في لغة من اللّغات على أنّ المتكلّمين بها يدركون الحوادث على كلّ صورة من صورها، ويديرون النّظر على كلّ وجه من وجوهه آي أنّهم يدركون الحوادث بعدّة صور.

ونجد الظروف بكثرة في اللّغات الهنديّة الجرمانيّة بينما قليلة في اللّغة العربيّة، ويقول العقّاد في هذا أنّهم[3]:(يرجعون بذلك إلى اختلاف أصيل بين المتكلّمين بهذه اللّغات في النّظر إلى الأمور والإحاطة بجوانب الحوادث واحتمال الظّروف الممكنة لكلّ حادث منها غير ظرفها الواقع الذي هي فيه).

وإنّ تكوين الظّروف في اللّغات الهنديّة الجرمانيّة سهل، فالمتكلّم بهذه اللّغات ينتج كمّا هائلا من الكلمات الّتي تمثّل الظّروف، والظّرف إمّا يتكوّن من اسم أو من صفة بإضافة مقطع صغير إليه.

والكلمات الّتي تسمّى ظروفا محدودة معدودة للزّمان والمكان، ولا فرق بين كثرة الظّروف في اللّغات الهنديّة الجرمانيّة وقلّتها في اللّغة العربيّة، فكثرة الظروف هي الّتي تيسر المتكلم باستخدامها في اللّغات الأخرى أمّا قلّة الظّروف دليل على قلّة الرّصيد اللّغوي في اللّغة العربيّة، وحصر تفكير المتكلّم وعجزه العقلي عن تصوّر الأشكال وإعطائها كلمات وظروف تدلّ عليها وعلى الحالة أو الحادث الذي يحيط

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 91.

[2]-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

[3]-المرجع نفسه وكذلك الصفحة.

به وتجعله قابلا لكثير من الأوضاع حيث تختلف في درجات قوّتها ومكان ظهورها وفي اطّرادها، ويكون هذا على حسب المتحدّث والوقت (الزّمان) والأحوال الّتي يحدث فيها.

ولقد طرح العقّاد سؤالا[1] حول عدد الظّروف بين اللّغة العربيّة واللّغات الأخرى وهو: هل حقّ ما يقررونه من الفارق الكبير بين عدد الظّروف في لغتنا وعدد الظّروف في اللّغات الهنديّة الجرمانيّة؟

وكان رأيه وإجابته عن هذا السّؤال:(غير حقّ عن ثقة وإنّ الخطأ هنا في أسلوب المقارنين لا في قواعد المقارنة الصّحيحة بين اللّغات، وقد أشرنا في بعض مقالاتنا إلى علّة الخطأ في أساليب بعض المقارنين بين الأديان، ونرى من الفرصة الحسنة أن نشير بهذا المقال إلى خطأ يماثله عند بعض المقارنين بين اللّغات وكلاهما يرجع إلى سبب واحد وهو الأخذ بالظّواهر والعناوين وإغفال الجوهر الثابت وراء الأعراض والقشور).

والظّروف في لغتنا العربيّة قليلة قياسا إلى اللغات الهنديّة الجرمانيّة، وجاء العقاد[2] أنّ:(الوسائل اللّغويّة الّتي تؤدّي معنى الظّرف أوفر وأوسع في لغتنا العربيّة من كلّ لغة هنديّة جرمانيّة نعرفها أو نستطيع مراجعتها، وإحدى هذه الوسائل أنّ اختلاف كيفيات الفعل ودرجاته متحقّق من وفرة الأفعال الّتي تؤدّي معنى كلّ فعل على أشكاله، فإذا تحدّث المتحدّث عن هبوب الرّيح ففي وسعه أن يقول: إنّها نسمت أو خفقت أو سرت أو هبت أو عصفت أو قصفت أو تهزمت إلى أشباه هذا التّرتيب في القوّة والتّأثير، فيستغني عن قول القائل بلغة هنديّة جرمانيّة: إنّها هبت بقوّة، أو هبت بلطف، أو هبت بصوت عنيف سواء أدّى هذا المعنى بإضافة علامة للظّرف أم بإلحاق الجار والمجرور).

إذن، فاللّغة العربيّة غنيّة بوسائلها الّتي تهدف إلى وجود الظّرف عكس اللّغات الأخرى؛ فمنها الفعل ودرجات تحقيقه فلكلّ فعل شكله ومعناه ليؤدّيهما فأمثلة العقّاد كلّها تقوم على معنى واحد وعلى قوّة واضحة للرّيح، ولا نجد هذا في اللّغات الهنديّة الجرمانيّة.

---

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 92.

[2]-المرجع نفسه ، ص 93.

ودرجات وأشكال الفعل تعود إلى ما تقوم به الوسائل كالتّضعيف والزّيادة فنتخلّى عن الظّرف بوجود هذه الكلمات، فالفعل عند تشديده وتضعيفه زيادة إلى أفعال المطاوعة تعطي للمتكلّم أداء درجات الفعل وأشكاله بإضافته علامة الظّرف إلى صفات أو أسماء.

كما جاء العقّاد بأنّ[1]:(من وسائلنا أنّ صيغ التّفضيل عندنا معروفة بأوزانها ولا حاجة بها إلى العلامات الّتي تؤدّي معانيها باللّغات الهنديّة الجرمانيّة؛ فعندنا "جميل وأجمل والأجمل" تغني المتكلّم عن best, better, most, more وما يماثلها أو يقابلها من أدوات المفاضلة بين الصّفات أو الأفعال).

واسم التّفضيل مصوغ على وزن "أفعل" للدّلالة على شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر في هذه الصّفة، وأجزاء أسلوبه ثلاثة[2]:

أ-المفضّل: وهو الشّيء الذي زاد على غيره في الصّفة المشتركة.

ب-المفضّل عليه: وهو الشّيء الذي قلّ عن غيره في هذه الصّفة.

ج-اسم التّفضيل: وهو اللّفظ الذي جاء على وزن (أفعل) ودلّ على التّفضيل.

ويرفع اسم التّفضيل الفاعل وأكثر ما يرفع الضّمير المستتر نحو: خالد أشجع من سعيد، ولا يرفع الاسم الظّاهر إلّا إذا صلح وقوع فعل بمعناه موقعه، نحو: ما رأيتُ رجلا أوقع في نفسه النّصيحة منها في نفس زهير.

-وقد يرفع الاسم الظّاهر وإن لم يصلح وقوع فعل موقعه وذلك في لغة قليلة، نحو: مررتُ برجل أكرمَ منه أبوه، والأفضل أن يرفع "أكرم" على أنّه خبر مقدّم وأبوه مبتدأ مؤخّر، وتكون جملة المبتدأ و الخبر صفة لرجل.[3]

-وينصب اسم التّفضيل المفعول لأجله والظّرف والحال والتّمييز، فنقول: محمّد أحرص النّاس على الصّلاة طمعا في الجنّة، ويجرّ معموله بالإضافة إذا كان مضافا إلى نكرة، نقول: المحمّدان أحسن رجلين.[1]

---

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 94.

[2]-الموسوعة النّحويّة والصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر عليّ عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 38.

[3]-جامع الدروس العربية، للشّيخ مصطفى الغلاينيّي، دار البصائر، الجزائر، د ط، د ت، ص 578.

ويصاغ من فعل متصرّف قابل للتّفاوت بشرط أن يكون ثلاثيّا تامّا مثبّتا مبنيا للمعلوم، ولم يجئ الوصف منه على أفعل ويتوصّل إلى التّفضيل ممّا لم يستوف الشروط بذكر المصدر منصوبا بعد، نحو: أشدّ، كقولك: هو أشدّ استخراجا للدّقائق.[2]

وكما أقرّ العقّاد، فعندنا الفرق بين مفضول ومفضل تغني عن بعض الظّروف كما يغنينا عن بعضها كلّ فرق عندنا بين اسم المفعول والصّفة المشبّهة وبين الفعل الذي يدلّ على الأخلاق الملازمة والفعل الذي يدلّ على التّخلّق أو الأخلاق العارضة[3]، فالفرق واضح عند دراسة القواعد الّتي تهتمّ بها.

ومن وسائلنا (الحال) مفردا أو جملة –أو جار أو مجرورا متعلّقين بمحذوف أو مذكور؛ ومثال العقّاد[4]: فأنت تقول: "أقبل مبتسما" و"أقبل يبتسم" و"أقبل وهو يبتسم"، و"أقبل في ابتسام"، وتترقّى بالابتسام –مع قوّة الفعل– من ابتسم إلى هش، إلى استبشر، إلى تهلل، إلى ضحك إلى قهقه، إلى أغرب ضاحكا، كما تستطيع أن تحقق هذا التّعبير في ألوف من الكلمات غير كلمات هذه المادّة قابلة مثلها للتّعبير عن مختلف الظّروف والدّرجات والأشكال.

فالحال فضلة –ليس مسندا إليه– وهي اسم نكرة منصوب بين هيئة الفاعل أو المفعول به عند وقوع الفعل، ويكون جوابا عن السّؤال (كيف)، ويسمّى الفاعل أو المفعول به الذي تبيّن الحال هيئته ب"صاحب الحال" ولا بدّ أن يكون معرفة، مثل: شربتُ الماء صافياً (هو الحال)، والحال ثلاثة أنواع[5]:

أ–اسم ظاهر: وهو الذي يقع حالا يكون عادة وصفا نكرة (كقائم، سالم، حسن...)، ويكون متنقّلا أي لا يكون ملازما للمتّصف به بل يدلّ على هيئته وقت حدوث اللّفظ فقط، وهو يطابق صاحب الحال في النّوع وفي العدد، مثل: عادت الطّائرتان سالمتين.

---

[1]-قواعد النّحو والصّرف، د.زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، د ط، 2005، ص 163.

[2]–قواعد اللّغة العربيّة، حفني ناصف والشيخ مصطفى طمّوم ومحمد دياب ومحمود عمر وسلطان بك محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 44.

[3]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 94.

[4]-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

[5]–قواعد اللغة العربية، فؤاد نعيمة، نهضة مصر،مصر، ط 19، 1928، ص 76،75.

*وقد تجيء الحال مصدرا نكرة أو اسما جامدا نكرة، مثل: هطلت الأمطار بغتةً.

*والأصل في الحال ألّا تكون إلّا نكرة وقد تجيء معرفة في حالات قليلة، مثل: اجتهد وحدَك.

ب-شبه جملة: (ظرف أو جار ومجرور)، مثل: رأيت الطّائرة بين السّحاب ← ظرف في محلّ حال.

مثل: حضر القائد بزيّه ← جار ومجرور في محلّ حال.

ج-جملة اسميّة أو فعليّة: مثل: استيقظت والشّمس ساطعة ← جملة اسميّة في محلّ حال.

مثل: سار الطّفل يبكي ← جملة فعليّة في محلّ حال.

و يشترط في الجملة الّتي تقع حالا أن تشتمل على رابط يربطها بصاحب الحال وهو الواو (واو الحال) أو الضّمير، أو الواو و الضّمير، مثل: سار الطّفل وهو يبكي (يربطان الحال بصاحبها).

-قد تتقدّم الحال على صاحبها، مثل: مسرعا سار الرّجل.

-قد تتعدّد الحال، مثل: حضر القائد ظافرا ضاحكا.

وتأتي العلاقة بين الحال وصاحبها على صورتين[1]:

*الأولى: أن تكون الحال هي نفس صاحبها، مثل: أقبل اللّيل باردا.

*الثّانيّة: أن تكون الحال مخالفة لصاحبها، مثل: سمعت الصّوتَ بغتةً؛ فالحال هي (بغتة) وصاحب الحال (الصّوت).

ومنه فإنّ الحال هي الّتي تبيّن حالة الشّخص الّذي يراد التّكلّم عنه إن كان مثلا: في فرحة، أو حزن، أو سرعة، فهي تصف حالته في ذلك الوقت وقد يكون أنواعا يتمثّلها ليوصل معنى الحالة.

ومن الوسائل الّتي ذكرها العقّاد أيضا (المفعول معه) والّذي هو ظرف بكلّ معاني الظّرفيّة في اللّغات الجرمانيّة، وقولك "سار والجبل" أو سار واللّيل هو تعبير عن ظرفية المكان والزّمان يؤدّيه أبناء اللّغات الهنديّة الجرمانيّة بظروف عدّة لا تزيد على معنى هذا المفعول.[2]

[1]- الموسوعة النّحويّة والصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر عليّ عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 258.

[2]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 94.

والمفعول معه هو الاسم الذي يقع الحدث زمن وجوده وهو مسبوق باسم قبله هو من وقع منه الحدث، وبين الاسمين (واو) دالّة على المعيّة –مع– آي دالّة على مصاحبة الاسمين، مثال: جلس الأديب والبحر، حكمه النّصب وعدم تقدّمه على الفعل وأن لا يفصل بينه وبين الواو فاصل[1].

والعامل الأصلي الذي يعمل النّصب في المفعول معه هو الفعل وهو يتوصّل إليه بواو المعيّة، أمّا العوامل الأخرى فهي:

–اسم الفاعل، مثل: أنا سائر والشّاطئ.

–اسم المفعول، مثل: زيد مكرمُ و أخاه.

–المصدر، مثل: سيرك والشّاطئ في الصباح مفيد.

–اسم الفعل، مثل: رويدك والمريض (والتقدير: رويدك أمهل نفسك في المرض).

والصّفات الّتي يجب أن تتوافر في المفعول معه[2]:

–أن يكون اسما لا فعلا ولا حرفا.

–أن يكون فضلة.

–أن يكون واقعا بعد (واو) بمعنى (مع) إذ لا تتحقّق المشاركة أو لمانع نحوي، لتخلف صفة من الصّفات الّتي تشترط بصحّة العطف.

ومن خلال هذا فإنّ اللّغة العربيّة واللّغات الهنديّة الجرمانيّة لهما نفس المنظور في المفعول معه لأنّه يعتبر ظرفا فيحمل الحدث زمن وجوده آي يدلّ على الظّرف الذي وقع فيه الحدث وهو المكان والوقت الذي حدّده وهو الزّمن ومنه فإنّه يعنى بظرفيّة المكان والزّمان.

وكذلك من وسائلنا (المفعول المطلق) موصوفا وغير موصوف، ففي وسعنا أن نقول: "اندفع اندفاعا" لتوكيد قوّة الاندفاع، وأن نقول "اندفع اندفاعا شديدا" أو اندفع اندفاعا موفقا أو مضطردا أو متلاحقا للتّعبير عن معاني الظّروف الّتي يعبّرون عنها بالمقاطع والإضافات[1].

---

[1]-الموسوعة النّحويّة والصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر عليّ عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 398.

[2]- ألفية ابن مالك في النّحو والصّرف، د. زين كامل الخويسكي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، الإسكندريّة، ط 1، 2003، ج 2، ص 133.

والمفعول المطلق اسم منصوب من لفظ الفعل (مصدر) يذكر معه[2]:

* لتوكيد عامله، نحو: اتّضح الأمر اتّضاحا.

*ولبيان نوعه، نحو: حارب الجيش محاربة قويّة.

*ولبيان عدده، نحو: دار الصّاروخ دورتين.

وهو مصدر صريح منصوب وناصبه واحد من الآتي[3]:

*الفعل، نحو: العدل يدفع النّاس دفعا إلى الطّمأنينة.

*اسم الفاعل، نحو: السّاعي سعي المجد يوفّقه الله.

*الصّفة المشبّهة، نحو: وجه التّقيّ حسن حسنا يجذب النّاس إليه.

وسمّي بالمفعول المطلق لأنّه غير مقيّد كالمفاعيل الأخرى، فمثلا: المفعول به مقيّد بالفعل.

وقد ينوب عنه ما يدلّ عليه، ومن ذلك[4]:

أ-أن تأتي بلفظي (كلّ) و(بعض) مضافين إلى مصدر، مثل: أحترمه كلّ الإحترام.

ومثل: أتردّد عليه بعض التّردّد.

ب-أن تأتي بمرادف المصدر، مثل: دفعته حفزا.

ج-أن تأتي بصفة المصدر دون ذكره، مثل: تتطوّر الحياة سريعا (حذف تطوّرا وناب عنه صفته سريعا وتعرب نائب عن المفعول المطلق).

د-أن تأتي بما يدلّ على عدد المصدر، مثل: قابلته عدّة مرّات.

وقد يحذف فعل المفعول المطلق، مثل: شكرا (أشكرك شكرا)، سبحان الله (سبحان مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أسبّح).

1-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 94.

2- الموسوعة النّحويّة والصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر عليّ عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت، ص 497.

3-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

4-قواعد اللغة العربية، فؤاد نعيمة، نهضة مصر،مصر، ط 19، 1928، ص 69.

ممّا يعني أنّ المفعول المطلق قد يحمل معنى ومدلول الصّفة فيكون موصوفا ولا يعنى بها فيكون غير موصوف واستعماله بكثرة بوجود فعله فيكون مؤكّدا لعامله.

ومن خلال ما ذكر فإنّ في كلّ لغة من اللّغات ليس بالضّروريّ أن يكون للظّرف فيها قاعدة واحدة أو مدلول واحد وأيضا في الاشتقاق وما يعرف بالنّحت، وأيّ لغة عليها أن تحمل معنى "الظّرفيّة" بعبارة صحيحة لتقدّم للعربي كلاما أجنبيّا يترجمه للّغة العربيّة بطريقة سليمة و واضحة.

قال العقّاد:(لستُ أذكر في اللّغة الأجنبيّة –الّتي أفهمها فهما أفضل من فهمي لغيرها– وهي الإنجليزيّة أنّني قرأت عبارات الظّروف نثرا وشعرا ولم أجد لها مقابلا يطابقها أحسن مطابقة بوسيلة من الوسائل الّتي أشرنا إليها).[1]

ثمّ قادنا على أنّ التّركيز يكون على قوّة التّعبير اللّغوي وليس على عنوان باب من الأبواب في كتب الأجروميّة، وأنّه عند قراءتنا لقصّة يقصّها عربيّ عن شيء ما تقودنا إلى تصحيح أخطائه في مقارنات اللّغويّين المهتمّين بالقشور والعناوين؛ ويجب الحرص على تحقيق "الظّرفيّة" بجميع حالاتها لأنّ العربي يتكلّم عن بطل القصّة و يذكر هيئته ومنهج حديثه وملامحه وهو مثلا يطرق إطراق التّأمّل أو الارتياح، والعربيّ في لغته وكلماته التي إذا نقلت إلى اللّغات الأجنبيّة لا تشتمل على ظروف كأحسن الظّروف الّتي وجدت في اللّغة العربيّة دلالة على الأحوال والأشكال، والمقارنة الصّحيحة تكون في ترجمة الكلام العربي إلى كلام أجنبي، فنلاحظ أنّ الظّرف في التّرجمة حلّ محلّ المعاني العربيّة فقط لا أكثر.

وفي مثل هذه المقارنات فإنّ الحكم يكون على نقد اللّغات والموازنة بين القواعد والأجروميّات، واللّوم كلّه على المقارنين الذين ينظرون إلى العناوين ويهتمّون بها ويهمّشون ويبتعدون عن المضمون ومحتوى الموضوع؛ وإنّ الظّرف يلعب دورا هامّا في اللّغة العربيّة واللّغات الأخرى حيث يحمل مدلولان ويجمع بينهما في كلمة واحدة، ونجد هذا أكثر في اللّغة العربيّة فهي أكثر اللّغات من حيث القواعد والضّوابط، والدّارسون فيها كثيرون لما تحمله من جوهر الكلام.

---

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 95.

سادسا: أوزان الشّعر العربي:

وضع الشّعراء لشعرهم منذ الجاهليّة ما يعرف بالقافية وحرف الرّويّ وهي انتهاء كلّ شطر من القصائد بحرف واحد لتتابع النّطق وجعل رنّة واحدة في أبيات قصائدهم، والّتي كانت عبارة عن شعر عموديّ تحتوي على أبيات لها شطرين: الصّدر والعجز.

والبيت الشّعري هو الذي يحمل مجموعة من الكلمات الموزونة المقفّاة.

وقد نشأت دعوة النّظر في تعديل أوزان الشّعر العربي والاستغناء عن القافية بعد إطّلاع قرّاء العربيّة على تاريخ الأدب المقارن بين اللّغات وابتداء حركة التّرجمة من اللّغات الأوربيّة، عند منتصف القرن التّاسع عشر، ففي تلك الفترة كثرت المقارنة بين موضوعات الشّعر في لغات الغرب وموضوعاته في لغتنا العربيّة، وقيل: إنّ المسرحيّة الشّعريّة ومعها ملاحم الأبطال والأرباب قد ظهرت في اللّغات الأوربيّة القديمة والحديثة ولم يظهر عندنا قديما أو حديثا لسهولة النّظم في تلك اللّغات وصعوبة النّظم في اللّغة العربيّة مع التزام القافية و أوزان العروض.[1]

اللّغات الأوربيّة هي الأسبق من اللّغة العربيّة في موضوع الشّعر ومقارناته، فمثلا: المسرحيّة الشّعريّة ظهرت في اللّغات الأوربيّة لسهولة النّظم فيها ممّا جعلها متطوّرة عن اللّغة العربيّة الّتي التزمت بالقافية وما يسمّى بأوزان العروض؛ والشّعر يأتي بالرّغبة والميول إليه من خلال الأحاسيس والمشاعر ونفسيّة الشّاعر، فهو يتولّد حسب الحاجة إليه ممّا تحمله التّقاليد والعادات والعلاقات الاجتماعيّة ولا يبنى الشّعر على تيسير النّظم على الأوزان ثمّ تبنى الشّعائر على حساب المنظومة.

وقد كانت المسرحيّة الشّعريّة وليدة الشّعائر المقدّسة في مراسيم الهياكل كما يؤخذ من اسم "التّراجيدي" الذي اشتقّوه من كلمتين وهما: كلمة (تراجوس) Tragos بمعنى المعزة وكلمة (أود) Ode بمعنى الأنشودة، لأنّهم كانوا يحيون مراسم التّمثيل في الهيكل بعد التّضحيّة بمعزة ينحرونها تقرّبا إلى الأرباب واستنزالا للوحي والنّبوءة على ألسنة الكهّان؛ ولو كانت للعرب شعائر تمثيليّة كهذه الشّعائر

1-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 104.

لوجدت عندهم المسرحيّة الشّعريّة بقافية أو بغير قافية، أو وجدت مسجوعة تارة ومرسلة تارة أخرى على وتيرة واحدة يردّدها الكهّان وأصحاب القرابين.[1]

إذن، المسرحيّة الشّعريّة جاءت نتيجة الشّعائر المقدّسة في مراسم العبادة وكانوا يحبّون ويميلون إلى مراسم التّمثيل في الهيكل بعد تضحيتهم بحيوان المعز للتّقرّب من أربابهم والكهنة ليوحوا إليهم، وهذا ما لا نجده عند العرب لأنّهم لا يميلون إلى شعائر تمثيليّة، ففي المسرحيّة الشّعريّة الغربيّة يمكن أنّه لو لم توجد مثل هذه المراسم ولم يكن العرف الدّيني لما كانت على هذه الصّورة، ولو كانت مثلها مثل اللّغات الأخرى من حيث نظمها سهل المطالب الفنّية خاليا من كلّ قاعدة صعبة في أشعار الأمم ككلّ وفي الكلام المنثور.

على أنّ خطأ الدّعوة إلى الاستغناء عن القافية وتعديل أوزان العروض ظاهر لمن يكلف نفسه قليلا من البحث في حقيقة الصّعوبة الّتي يتوهّمونها للأوزان العربيّة، ويحسبونها حائلا دون الشّاعر وما يختاره من موضوعات النّظم على اختلافها بين آدابنا وآداب الأمم الغربيّة.[2]

لكن عندما ننظر إلى أوزان العروض العربيّة نجدها سهلة الإتقان والأداء يمكننا العمل بها بحيث نتوسّع فيها وننوّعها حسب كلّ موضوع الذي يبحث فيه الشّاعر أو يكتب عنه، ويحدث هذا عند العودة إلى النّظر في ما يحمله تاريخنا وتطوّر أدبنا في العصر الحديث، ومثال هذا ما أخذه العقّاد أنّه:[3]قد اختار شعراء اللّغات الفارسيّة والعبريّة والأورديّة أن ينظموا بلغاتهم في أوزان العروض العربيّة وفضّلوها على أوزانهم القديمة لأنّها أسهل منها وأجمل في موقعها من الأسماع والنّفوس، ثمّ إنّ شعراء العامّة لم يتعذر عليهم أن ينظموا الملاحم أو يتخلّلوها بالقصائد الموزونة المقفّاة في القصص المطولة من قبيل قصص "الزير سالم"و"الغزوات الهلاليّة"و"أخبار النّبيّ أيّوب عليه السّلام"و"حكايات البطولة والغرام في اللّهجات الدّارجة"، وكلّها تنظّم في بحور العروض وتلتزم فيها القافية، ويقدر عليها شعراء أمّيّون لم يدرسوا الأدب ولم يتعلّموا وزن الشّعر ولم يرجعوا في منظوماتهم وموضوعاتهم إلى غير السّليقة والسّماع.

1-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 105.

2-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

3-المرجع نفسه، ص 106.

إنّ أوزان العروض العربيّة أكثر استعمالا وأسهل الأوزان والأجمل في سماعها حيث نجد الكثير من شعراء اللّغات الأخرى يهتمّون بها ويفضّلونها على أوزانهم، كما نجد كثير من الشّعراء الأمّيّين يلقون شعرهم وينظمونها ببحور وقافية وهذا كلّه نتيجة أخذهم بالسّماع.

وعلم العروض تأسّس على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، وهو أحدث أنواعا من الشّعر ليست من أوزان العرب ويعرف بأنّه يهتمّ بأوزان الشّعر العربي؛ وسمّي بالعروض لأنّه يعرض الشّعر فيعرف المختال من الصّحيح.

والبحور الّتي اكتشفت هي ستّة عشر بحرا هي كالآتي:

*الطّويل: طويل له دون البحور فضائل ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

*المديد: لمديد الشّعر عندي صفات ... فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

*البسيط: إنّ البسيط لديه يبسط الأمل ... مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

*الوافر: بحور الشّعر وافرها جميل ... مفاعلتن مفاعلتن فعولن

*الكامل: كمل الجمال من البحور الكامل ... متفاعلن متفاعلن متفاعلن

*الهزج: على الأهزاج تسهيل ... مفاعيلن مفاعيلن

*الرّجز: في أبحر الأرجاز بحر يسهل ... مستفعلن مستفعلن مستفعلن

*الرمل: رمل الأبحر ترويه الثّقات ... فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

*السّريع: بحر سريع ما له ساحل ... مستفعلن مستفعلن فاعلن

*المنسرح: منسرح فيه يضرب المثل ... مستفعلن فاعلات مفتعلن

*الخفيف: يا خفيفا خفت به الحركات ... فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

*المضارع: تعد المضارعات ... مفاعيلن فاعلاتن

*المقتضب: اقتضب كما سألوا ... فاعلات مفتعلن

*المجتث: اجتثت الحركات ... مستفعلن فاعلاتن

*المتقارب: عن المتقارب قال الخليل ... فعولن فعولن فعولن فعولن

*المتدارك: حركات المحدث تنتقل ... فعلن فعلن فعلن فعلن

ولقد ترجمت الإلياذة واتّسع شعرها العربي بأوزان العروض و القافية إلّا أنّه كان لها شيء شبيه بالنّقص وهو التّرجمة من لغة إلى أخرى مثلا من الفرنسيّة إلى الإنجليزيّة، فهي تجري على قواعد متشابهة الأوزان ونجد التزام القافية بكثرة في الرّقص والغناء لتعطي تتابعا في ألفاظها ويكون تركيبها سليما وجالبا للاستماع.

وممّا كان في تعديل الأوزان أنّ إلغاء القافية كلّ الإلغاء يفسد الشّعر العربي ولا تدعو إليه الحاجة، وهي تجربة اشترك فيها ثلاثة من أعلام الأدب العربي الحديث في القاهرة وبغداد والإسكندريّة وهم: "توفيق البكري"و"جميل صدقي الزهاوي"و"عبد الرحمن شكري"....[1]

وممّا يقودنا إلى تعدّد القوافي في الشّعر أو في القصيدة الواحدة ما تناوله الشّارحان لكتاب صهاريج اللّؤلؤ موضوع القافية العربيّة وصعوبتها، وهما: الأستاذ أمين الشّنقيطي، وأبو بكر المنفلوطي فقالا في التّمهيد لقصيدة "ذات القوافي":[2](أمّا العرب فقد جعلوا القافية واحدة فأصبحت الإجادة في الشّعر عندهم أو البلوغ به إلى التّعبير عن المقاصد المختلفة من أصعب الأمور... وللعرب نوع من نظم الشّعر يشابه ما قلناه عن شعر العجم وهو النّوع المسمّى بالمسمط... وهو ما قفي أرباع بيوته وسمط في قافية مخالفة... والرّجز أيضا من هذا القبيل، وقد أراد المؤلّف –حفظه الله– بهذه القصيدة الّتي أسماها بذات القوافي إيجاد مثال للشّعر المتعدّد القوافي في العربيّة وفكّ هذا القيد الشّديد المانع للشّعر من الإرتقاء).

ووضعت تعدّد القوافي في القصيدة الشّعريّة الواحدة ليسهّلها عند قراءة الشّعر لمحو القائلين بأنّ القافية الواحدة صعبة في اللّغة العربيّة، وهذا ما أتى به "جميل صدقي الزهاوي" الذي عالج النّظم بغير قافية وترك لنا قصائد مطلقة ولكنّها على أوزان العروض، كقوله في واحدة منها:[3]

يعيش رخي العيش عشر من الورى وتسعة أعشار الأنام مناكيد

1-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 107.

2-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

3-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 108.

أما في بني الأرض العريضة قادر يخفف ويلات الحياة قليلا

ولكنّه أراد أن يبرئ ذمّته وبكلّ الأمر إلى حكم التّاريخ فأبقى بهذه التّجربة تمضي في طريقها حيث يستقرّ بها قرارها، وقال في مقدّمة الدّيوان:[1](ولا أرى مانعا من تغيير القافية بعد كلّ بضعة أبيات من القصيدة عند الانتقال من فصل إلى آخر كما فعلت في عدّة قصائد، لا دفعا لملل السّامع من سماع القافية الواحدة في كلّ بيت كما يدعي بعضهم، فتلك حجّة من يعجز عن إجادتها... بل إراحة للشّاعر...، فإنّ الإتيان بها متمكّنة ليس في قدرة كلّ شاعر وأجيز للشّاعر أن ينظم على أيّ وزن شاء، سواء كان من أوزان الخليل أو غيره).

وللابتعاد عن صعوبة القافية الواحدة في القصيدة الّتي تحدث قلقا في اختيارها وأن تكون مناسبة للّتي قبلها، فأراد بعض الشّعراء بالخروج من هذه الورطة لإدراك الوقوف عند قدرته بجعل لكلّ بيت أو فصل قافية متمكّنة في القصيدة الواحدة، وبهذا الحلّ فلا ضرورة لإلغاء القافية نهائيّا ولا لإطلاق الشّعر وخلوّه من أوزان العروض، ويمكن جواز نظم الشّعر دون الخضوع لأوزان الخليل.

أمّا عبد الرّحمن شكري فمن أمثلته قوله في نظم القصّة من قصيدة نابليون والسّاحر المصري:[2]

خرج العظيم يخط في ترب العرا خط المدلس في تراب الطالع

يمشي وحيدا في الخلاء وحوله جيش من الآراء والعزمات

إلى آخر القصيدة الّتي ينفرد فيها كلّ بيت بقافية، ولا يخف على ناظمها موضع الضّعف فيها من الوجهة الموسيقيّة –وهي قوام فنّ الشّعر– ولكنّه كان يعتقد أن مصير الحكم في ذلك لألفة في السّماع، ويترك الحكم الأخير لصقل السّماع ثمّ يقرن هذا التّصرّف المطلق في القافية بالتّصرّف المحدود في الرّباعيات والمزدوجات، أو المقطوعات من فصول متعدّدة تتغيّر قافيتها بعد عشر أبيات أو ما شاعر الشاعر من تقسيم الفصول على حسب الأبيات؛ فإذا كانت القصيدة طويلة فإنّها تقسّم إلى فصول تحمل مجموعة من الأبيات تحمل قافية واحدة، وتكون مختلفة عن أبيات الفصل الموالي.

---

[1]-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

[2]-المرجع نفسه، ص109.

ما استنتجه العقّاد من هذا خلاصة التّجارب الواقعيّة –في الزّمنين القديم والحديث– أنّ القافية لم تكن سببا لاختفاء المسرحيّة الشّعريّة من الأدب العربي للقديم، ولم تحلّ في الزمن الحديث دون ترجمة الملاحم أو وضع الروايات المسرحيّة في شتّى الموضوعات من حوادث الحاضر أو حوادث التّاريخ، وأنّ كلّ صعوبة تعزي إلى القافية العربيّة لم تكن لتعجز العامة الجهلاء عن نظم الملاحم والقصص ونظم الأمثال والعبر على الأسلوب الذي يتداولها جمهرة الأمّيّن، فضلا عن الشّعراء والدّارسين.[1]

فمن هذا نخرج بمفهوم واحد هو أنّ القافيّة درست وجعلت في متناول الجميع لم تعد كالسّابق صعبة الإتقان وتحتاج لمدّة لإتقانها والذين قد يرجعون لطلب إلغاء القافية فهم عاجزون عن استعمالها ودراستها لأنّها أصبحت سهلة عند العامّة والأمّيّين، ونقول عن هؤلاء أنّهم لا يستحقّون دراسة الآداب العربيّة، والنّتيجة الّتي نذكرها هي أنّ الآداب العربيّة ودراسة قواعدها يمكن أن ندمجه ضمن الاستعداد الفطري لأنّنا نميل إليه دون أن نشعر كالشّعراء فهم يعبّرون عمّا يخالج أنفسهم بمقاطع شعريّة تجذبنا إلى سماعها وتمعّنها.

سابعا: اللّغة العربيّة بين لغات الحضارة العصريّة:

اللّغة العربيّة هي لغة الحضارة الإنسانية الواسعة الّتي اشتركت فيها أمم شتّى وكان العرب هم نواتها الأساسيّة، وقد اعتبروها جميعا لغة حضارتهم المعاصرة وثقافتهم، فاستطاعت أن تكون لغة العلم والسّياسة والتّجارة والعمل والتّشريع والفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب والفنّ؛ واللّغة من الأمّة مرآة حضارتها وأساس وحدتها.

وما نلاحظه فيما سبق أن اللّغة العربيّة عاشت نوعا من النّقض من طرف اللّغات الأخرى فيما هو أسبق وأقدم، فهناك من قال أنّ اللّغة العربيّة هي الأمّ وهناك ما جاء بالعكس؛ لكنّ المتكلّمون بالضّاد قالوا أنّها هي الأفصح من بينهم والتّشديد في هذا الرّأي كاد أن يمحو فصاحة اللّغات الأخرى.

وجاءنا عصر التّرجمة الحديث فرجعنا إلى نقيض ذلك الفخر وكاد العجزة من المترجمين أن يحيلوا عليها عجزهم فيهبطوا بها من طبقة اللّغات إلى طبقة الرّطانات الّتي حقّ عليها الرّكود وسوف يحقّ عليها

[1]-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 110.

الدّثور والنّسيان ثمّ أفضينا –بعد فترة– إلى أوائل دور الاعتدال بين الأمل فيها واليأس منها، فقال شاعر كبير على لسانها قبل خمسين سنة:[1]

وسعت كتاب الله حكما وحكمة وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات !!

كانت حركة التّرجمة في العصر الحديث متناقضة ممّا أدّى إلى هبوط قيمة ومكانة اللّغة العربيّة بين اللّغات الأخرى لأنّ قليل ما ذهبوا إلى التّرجمة فكانت في حالة تحمل شعورا بالنّقص الذي يحتاج إلى علاج وثقة مستعادة عن علم يأخذنا إلى الحقيقة للانتفاع بمعرفتها والعمل بها لضمان نجاح كبير وتطوّر فعّال، ثمّ علم اللّغات الحديث هو الذي يقودنا إلى معرفة المكانة العريقة العالية للّغة العربيّة فكلّ ما تحمله من قديم وحديث له أهمّيته وهو الذي يساهم في ارتقائها.

كان نقاد الآداب واللّغات عندهم يحسبون أنّهم يعطفون على اللّغة العربيّة غاية العطف الذي يقفون عنده ولا يستطيعون الزيادة عليه، حين يقرون لها بأنّها لغة جميلة وينكرون عليها أنّها لغة (عالية) في طبقات اللّغات الحيّة، ولكن علوم اللّغة الّتي يقرّرها نقاد الآداب واللّغات تثبت لها (العلو) في الطّبقة كما تؤكّد لها صفة الجمال الّتي لم ينكروها عليها... وبالمعيار المستفاد من هذه العلوم اللّغويّة نتعرّف لها مكانتها بين الألسنة النّاطقة، ونقول فيها –بغير لسان الفخر– ما ينبغي أن يقوله الناقد العربي والأجنبي بلسان التّحقيق؛[2] فاللّغة العربيّة جميلة في ألفاظها ولها علوّها الظّاهر بين اللّغات.

وإنّ الفوارق الفكريّة أصعب من الفوارق الجغرافيّة والثّروة تعليلا بأسباب الارتقاء والتّطوّر، ولكن معيار اللّغة أبرز من الفوارق الفكريّة جميعا، لأنّها قابلة للضّبط والتّقسيم وأدنى إلى التّقسيم بالضّوابط والعلامات من فوارق التّفكير والبواعث النّفسيّة، وقد تكون علامات اللّغة ممّا يستعان به على جلاء الفوارق عند التباسها على نقاد الفوارق النّفسيّة و الاجتماعيّة.[3]

1-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 113.

2-المرجع نفسه، ص 114.

3-أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963،ص 114،115.

إنّ الفوارق الفكريّة هي ما ينتج عن أفكار الآخرين وهذا يختلف من شخص لآخر، أمّا الفوارق الجغرافيّة فهو ما يحدث في المكان الجغرافي أو المنطقة وتختلف على حسب ذلك من جبل إلى مدن، وما هو أبرز من بينهما معيار اللّغة حيث أنّها تخضع للضّبط والتّقسيم وتهتمّ بالفوارق التّفكيريّة وهذا أكثر صعوبة، وهناك ما ينظر إلى اللّغات أنّها مصنّفة على حسب الأجناس لكنّه تقسيم يعتريه الاختلاط البشري حيث نجد مجموعة كبيرة أو أمم تشترك في لغة واحدة لكن من أحسن التّقسيم الذي يكون على حسب القواعد والعوامل حيث يضبط لنا الفوارق الموازنة بينها ومقابلتها.

وتنقسم اللّغات من حيث التّكوين إلى لغات النّحت ولغات التّجميع ولغات الاشتقاق:[1]

-(فلغات النّحت هي الّتي تتكوّن فيها الأسماء والأفعال والصّفات بإدخال المقاطع الصّغيرة عليها أو إلحاقها بها، وتسمّى لغات النّحت أحيانا باسم اللّغات الغرويّة في اصطلاح الأوربّيين: Agglutinating لأنّ مفرداتها تلصق لصقا لتنويع معانيها، كما تلصق أدوات البناء بالغراء).

ومفهوم النّحت هو أخذ الحروف الأوائل لمجموعة من الكلمات في جملة واحدة و تركيبها في كلمة واحدة، مثل: الحمد لله (الحمدلة).

-(ولغات التّجميع هي اللّغات الّتي تعتمد على اللّصق كما تعتمد عليه اللّغات الغرويّة ولكنّها تعتمد قبل ذلك على"التّنغيم" لتنويع المدلول، والتّمييز بين الصّفات والظّروف وبين الأوقات والأجناس، وغيرها من معاني الجمع والتّثنية والإفراد، وقد تسمّى لغات التّجميع أحيانا باللّغات المنفصلة Isolating لأنّ الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغيّر حروفها وإنّما يتغيّر المعنى بضمّ صيغة منها إلى صيغة أخرى بترتيب متّبع أو بغير ترتيب يلتزم في جميع الأحوال، ومن فروع هذه اللّغات ما تتكوّن أسماؤه وأفعاله من جملة تتألّف من عدّة مقاطع وأجزاء وتسمّى لذلك بلغات التّركيب الكثير Polyse nthetic).

[1]-المرجع نفسه، ص 115.

تهتمّ لغات التّجميع بالتّنغيم وهو ما اختصّ بالجملة كلّها، وهو لحني ينتج بتنوّع درجة نبرة الكلام وتتغيّر الموسيقى فيتحقّق الصّوت بالارتفاع و الانخفاض ودرجة الجهر أثناء الكلام ويكون مصاحبا للحديث لينبّه، ويشير لجلب الانتباه وهذا ما يسمّى بالوظيفة الدّلاليّة.[1]

-(أمّا لغات الاشتقاق فهي اللّغات الّتي يعمّ فيها الفعل الثّلاثي في كلّ مادّة وتجري قواعد الصّرف فيها على المخالفة بين الأوزان بحسب معانيها، ويكثر فيها اختلاف الحركة في أواخر الكلمات إتباعا لموقعها من الجملة المفيدة).

يكثر الاشتقاق في الفعل الثّلاثي أكثر من الثّنائي والرّباعي وتكثر أيضا الأوزان على حسب الميزان الصّرفي للكلمة.

ونلاحظ أنّ النّحت يكثر في اللّغات الأخرى وكذلك التّجميع أمّا الاشتقاق فهو ينتمي إلى اللّغات السّامية، وقد ذكر العقّاد أنّه:[2](يشيع النّحت في اللّغات الهنديّة الجرمانيّة كما يشيع التّجميع في اللّغات المغوليّة ولغات القبائل الأمريكيّة الأصيلة...، أمّا الاشتقاق فهو من خصائص اللّغات السّامية وتكاد اللّغة العربيّة من بينها أن تنفرد بعموم الاشتقاق وإطراده مع تحريك أواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة.

واللّغة العربيّة أكثر استعمالا للاشتقاق وذلك لغناها بأفعالها الكثيرة فهي عكس اللّغات الأخرى، فإن ترجمت من اللّغة العربيّة إلى لغة أخرى يكون لها مرادف واحد لكن إذا ترجمت من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة فنجد عدّة مفردات للكلمة الواحدة.

ومن القواعد العامة أنّ الكلمات الانفعاليّة التّقليديّة أسبق من الكلمات الإراديّة الفكريّة، ويريدون بالكلمات الانفعاليّة ما يصدر عن الإنسان عفوا من الأصوات والصّيحات الّتي تعبّر عن الفرح أو الفزع أو الدّهشة، وما تكون الكلمة منه أحيانا من قبيل المحاكاة الصّوتيّة Onomtopoeia كاسم البلبل والكوكو، وألفاظ الدّق والقطع...، ويريدون بالكلمات الإراديّة الفكريّة كلّ ما يقصده المتكلّم

---

[1]-الدّلالة الصّوتيّة في اللّغة العربيّة، صالح سليم عبد القادر الفاخري، مؤسسة الثّقافة الجامعيّة، الإسكندريّة، د ط، 2015، ص 200.

[2]- أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 116.

ويجري فيه على القياس والاستعارة، وإطلاق القاعدة الواحدة على المتشابهات لفظا أو المتشابهات لفظا ومعنا.[1]

فالكلمات الانفعاليّة التّقليديّة هي الّتي تحدث دون شعور أو تخطيط لها وتكون كردّة فعل غير متوقّعة، أمّا الكلمات الإراديّة الفكريّة فهي عكسها ويمكن التّحكّم فيها قبل حدوثها.

ثمّ يضاف إلى الظّواهر الصّوتيّة في قياس تطوّر اللّغات ظاهرة التّمييز والتّخصيص في الصّفات إجمالا وفي المفردات على التّعميم، كالتّمييز بين المذكّر والمؤنّث والجماد، وبين المفرد والمثنّى والجمع، وبين جمع القلّة وجمع الكثرة، وبين الصّفات العارضة والصّفات الملازمة، وهي جميعا من المزايا الّتي تمّت اللّغة العربيّة على مثال لم تسبقها إليه لغة من لغات الحضارة.[2]

فإنّ اللّغة العربيّة تمتاز بظاهرة التّمييز وهذا كلّه هو الذي جعلها متفوّقة على اللّغات الأخرى وذلك لقواعدها المتميّزة عن غيرها، وهي أكمل اللّغات لأنّها انتظمت قواعدها الصّوتيّة Phonologic والصّرفيّة Morphologic والتّراكيب Syntaxe والعبارات أيضا، واللّغة الّتي لها السّبق هي الّتي تقوم على قواعد فكريّة.

وشيوع القاعدة في فعل كلّ مادّة وفي الأسماء والصّفات منها دليل على سبق التّفكير في التّعبير، وتعميمه على الأحداث والمعاني غير موقوف على أصوات الانفعال والمحاكاة، ويتبع ذلك شيوع الاستعارة وإمكان الجمع بين الوضع الحقيقي والوضع المجازي في كلام المتكلّم لتوسيع المعاني وبناء الكلمات على المضاهاة بين المدلولات.

وهذا من صفات اللّغة العربيّة بحيث أنّها تجعل الإنسان يفكّر في موضوع ما بذهنه ثمّ يعبّر عنه بكلمات ملائمة له يسرد فيه الأحداث باستعماله المحاكاة و الاستعارة حيث يقوم بجمع ما هو حقيقي بما هو مجازي في الكلام وإنتاج كلمات على حسب مدلولاتها، وهذا تطوّر نالته اللّغة العربيّة نتيجة مجهودات المتكلّمين بها.

---

[1]- أشتات مجتمعات في اللّغة و الأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963، ص 117.

[2]-المرجع نفسه وكذلك الصّفحة.

خاتمة

خاتمة:

من خلال الدّراسة المتواضعة لموضوع بحثي استطعت الوقوف على بعض النّتائج الآتية:

-المكانة الرّفيعة للغة العربية ودفاع الكاتب عنها بذكر ميزاتها العلميّة.

-اللغة العربية لغة آدم وحواء وكلّ ما تتضمّنه دليل على قدمها عكس لغات العالم.

-من مميّزات هذه اللغة النّحو ومسائله العديدة كالعامل الذي يعتبره العقاد المسألة الكبرى وهو الركن الأساس في الإعراب حيث يعطي للكلمة معناها الصحيح في كلّ جملة.

-الحروف العربيّة من التّراث القديم الّتي سلمت من التّغيير والإضافات لذا فهي المنتخبة لكتابة اللغات.

-يكون للحرف معنا إذا ارتبط بحروف أخرى لتكوين كلمة.

-للغة العربية جملتان فعلية واسمية عكس اللغات الأخرى التي تكون فيها الفعلية حالة شاذة تحدث مثلا للمفاجأة.

-المبني للمجهول له صيغته الخاصّة به حسب كلّ وزن (ثلاثي، رباعي، خماسي وسداسي) لكن في اللغات الأخرى له عبارة واحدة.

-ضمائر اللغة العربية عديدة ممّا جعلها متطوّرة الألفاظ، فضمائر الجنس تكون للعاقل وغير العاقل وضمائر العدد تكون للإفراد والجمع.

-الصّفة أقوى دلالة للألفاظ والمفردات حيث تبيّن المعنى الصحيح لها.

-الظّروف كثيرة في اللغات الهنديّة الجرمانيّة مقارنة باللغة العربية، لكن العربية لها وسائل عديدة تعبّر عن الظّرف.

-ظهر الشعر في لغات العالم قبل اللغة العربية لسهولة النّظم عندهم وصعوبته في العربية لذا كان الالتزام بالقافية، فمن هنا ظهر علم العروض واكتشفت البحور.

-اللغة العربية لغة الحضارة العصرية لتطوّر ألفاظها وشتّى قواعدها فهي لغة الحوار والتّحاور.

وفي الأخير أتمنّى أن تكون هذه المذكّرة، قد حقّقت أهدافا وأجابت عن إشكالاتها المطروحة بالتّطرّق إلى قواعد اللّغة العربيّة وما تحمله من معلومات واستفادات علمية وثقافية، فهذا العمل لا يزال يحتاج إلى إضافة جهود عديدة فكلّ دراسة من هذه الدّراسات اللّغويّة تصلح أن تكون موضوع بحث قائم بذاته، فحدود البحث العلمي لا تنتهي أبدا.

والله وليّ التّوفيق

قائمة المصادر

و المراجع

1-القرآن الكريم، رواية ورش بن نافع.

2-الأحاديث النّبويّة الشّريفة.

3-أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ط، 1963

4-ألفية ابن مالك في النّحو والصّرف، د.زين كامل الخويسكي، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندريّة، ط1، 2003، ج2

5-التّطبيق النّحوي، د.عبده الرّاجحي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط2، 1998.

6-جامع الدّروس العربيّة، الشّيخ مصطفى الغلاينيّي، دار البصائر، الجزائر، د ط، د ت.

7-الدّلالة الصّوتيّة في اللّغة العربيّة، صالح سليم عبد القادر الفاخري، مؤسسة الثّقافة الجامعيّة، الإسكندريّة، د ط، 2015.

8-الفرائد اللّؤلؤيّة في القواعد النّحويّة، العلامة علوي بن طاهر الحداد العلوي الحضرمي، دار النّجاح للكتاب، الجزائر، ط1، 2015.

9-قواعد الإعراب، أحمد محمد متولي، دار الشّافعي للنّشر والتّوزيع، قسنطينة، دط، دت.

10-قواعد اللّغة العربيّة، العلّامة حفنى ناصف والشّيخ مصطفى طمّوم والعلّامة محمد دياب و العلّامة محمود عمر والعلّامة سلطان بك محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 1997.

11-قواعد اللّغة العربيّة، فؤاد نعيمة، نهضة مصر، مصر ،ط19، 1928

12-قواعد النّحو والصّرف، د.زين كامل الخويسكي دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، د ط، 2005

13-الموسوعة النّحويّة والصّرفيّة الميسّرة، أبو بكر عليّ عبد العليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، د ت.

14-النّحو الوافي، عبّاس حسن، دار المعارف، مصر، ط3، 1975.

ملحق

ملحق:

مسيرة محمود عبّاس العقّاد:

أ-التّعريف بعبّاس محمود العقّاد ونشأته:

عبّاس محمود العقّاد أديب وشاعر وناقد أدبي، كما أنّه فيلسوف وسياسي وصحفي ومؤرّخ، عني بالأدب وأصبح من أبرز الأعلام في الأدب العربي الحديث.

ولد العقّاد في مصر، في الثّامن والعشرين من شهر حزيران من عام 1889م بأسوان وعاش طفولته فيها، ودرس في مدرستها الأميريّة مرحلته الابتدائيّة وقد ساعده والده في الجانب الأدبيّ، فكان يصحبه إلى الشّيخ أحمد الجداوي وعمد العقّاد إلى الاستماع لمطارحاته الشّعريّة إضافة إلى مقامات الحريريّ الّتي جعلته مطالعا للكتب الأدبيّة، فهو ممّن أخذوا العلم من جمال الدّين الأفغاني.

كما أنّه ذهب إلى الشّعر ونظمه وكان يتطرّق إلى مطالعة المصنّفات العربيّة ممّا وسّع مداركه، وما نظمه وهو ابن العاشرة أبيات عُنِيَتْ بفضل العلم، وهي كالتّالي:

علم الحساب له مزايا جمّة

وبه المرء يزيد في العرفان

وكذلك الجغرافيا تهدي الفتى

لمسالك البلدان والوديان

وتعلم القرآن واذكر ربّه

فالنّفع كلّ النّفع في القرآن

ب-وظيفة العقّاد:

عمل العقّاد بمهن مختلفة ومنها الصّحافة، وكان أوّل عمله فيها في جريدة "الدّستور"للأستاذ وجدي، ثمّ كتب في صحف أخرى منها: المؤيّد، الأهالي، الأهرام، وقد أصدر مجلّة بخطّ يده لكثرة اطّلاعه

على العديد من المجلّات والصّحف القديمة، مثل: مجلّة التّكيت والتّبكيت، وعمد إلى الاتّزان في كتابه.

وبعد انتهاء عمله في جريدة الدّستور انتقل إلى كتابة المقالات والمقامات وقد عمل كموظّف حكومي في القسم المالي لادّخار المال وإصدار صحيفة له وبيعها، ويعدّ العقّاد أحد مؤسّسي مدرسة الدّيوان الّتي عنيت بالنّقد في العصر الحديث؛ كما أنّها أوّل الخطوات للتّجديد في الشّعر العربي وأوّل ظهور لهذه المدرسة كان عام 1909م وسمّيت بهذا الاسم نسبة إلى "كتاب الدّيوان" الّذي ألّفه العقّاد والمازني عام 1921م.

ج-مؤلّفات عبّاس محمود العقّاد:

للعقّاد الكثير من المؤلّفات، وقد نشر عام 1954م مجلّدين على شكل مجموعة لإحدى ترجماته في الأدب العالمي ومنها مجموعة من القصص القصيرة الأمريكيّة، ثمّ تولّى منصبا في المجلس المصري للآداب والفنون، وفي عام 1958م نشر كتابه "مقدّمة شكسبير" وهو أحد كتب النّقد الأدبيّ الحادية عشر الخاصّة به، وحصل على جائزة الدّولة التّقديريّة في الآداب عام 1960م، ونشرت آخر أعماله في عام 1963م وذلك تحت عنوان"يوميّات"، وفيما يأتي أبرز مؤلّفاته، منها:

-العبقريّات: هي سلسلة من الكتب الّتي تعنى بشخصيّات عظيمة، أوّلها: عبقريّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ الخلفاء الرّاشدون، وهي: عبقريّة الصّدّيق، عمر، عثمان بن عفّان، عليّ بن أبي طالب.

-المرأة في القرآن: تحدّث عن مكانة المرأة وذكر الآيات القرآنيّة المتعلّقة بها، وتحدّث عن الوصايا المذكورة في كتاب الله الّتي تعنى بالتّعامل معها وبعض القضايا المرتبطة بها مثل: الزّواج، الطّلاق، الحقوق الدّنيويّة والدّينيّة، وقوامة الرجل على المرأة؛ وأنهى كتابه برأيه حول ما تمرّ به المرأة من قضايا.

-أنا: يمثّل السّيرة الذّاتيّة للعقّاد يسرد فيه نفسه من وجهة نظره وليس كما يراه النّاس، لذلك تظهر هذه السّيرة صورة مختلفة عمّا أخذها عنه ممّن عاصروه، والكتاب يحتوي الكثير من المشاعر لحياة العقّاد المليئة بالتّجارب الحياتيّة في عمره، ويركّز فيه عن حبّه للمطالعة.

*مؤلّفات أخرى للعقّاد:

1-المؤلّفات الدينيّة، منها: الله، إبراهيم أبو الأنبياء، فاطمة الزّهراء والفاطميّون، التّفكير فريضة إسلاميّة، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، وغيرها.

2-مؤلّفات الشّخصيّات، منها: شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، سعد زغلول زعيم الثّورة، عبد الرحمن الكواكبيّ، ابن الرّومي، أبو العلاء، وغيرها.

3-المؤلّفات الأدبيّة: أعاصير مغرب، يسألونك، أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب، مراجعات في الأدب والفنون، اللّغة الشّاعرة، وغيرها.

د-أشهر الدّواوين الشّعريّة لعبّاس محمود العقّاد:

-ديوان من الدّواوين:

يعدّ من أشعاره المختارة بعناية ويحتوي على العديد من القصائد المختلفة، فمنها ما يظهر الجانب النّفسي لتفكير العقّاد مثل: قصيدة ندم، قصيدة مزيج، وغيرها، ومنها ما يظهر جانبه العاطفي و الغزليّ مثل: قصيدة فنّ السّينما، قصيدة عسكريّ المرور؛ يضمّ هذا الدّيوان قصائد يغلب عليها الطّابع العاطفي.

-ديوان عابر السّبيل:

استعرض فيه العقّاد أغراضا شعريّة متنوّعة مشيرا إلى أنّ الشّعر لا يحصر في غرض واحد، معلّلا ذلك بأنّ الحياة تختلف في أحداثها، وأنّ الأدب وسيلة لطرح مشاكل المجتمع وقد حرص على عدم السّير على أساليب قديمة ومتداولة في طرحه، والاقتداء بأفكار مرتبطة بالتّجديد في جميع الموضوعات ومن هذه القصائد: قصيدة عصر السّرعة، قصيدة الفنادق، قصيدة المصرف، وغيرها.

-ديوان وهج الظّهيرة:

يعدّ هذا الدّيوان الشّعري أوّل خطوة تجاه التّجديد في تأليف الدّواوين، وهو الذي أبرز أسلوب العقّاد في الشّعر العربي دون غيره مبتعدا بذلك عن النّماذج القديمة الثّابتة، ويعدّ هذا الدّيوان ثاني دواوينه الّتي ألّفها أثناء شبابه، ومن المواضيع الّتي يتناولها: قصيدة كأس على ذكرى، قصيدة القريب البعيد،

وقصيدة الدّنيا الميّتة، وغيرها، بالإضافة إلى مواضيع الحياة المختلفة كالحبّ، الجمال، العاطفة، والطّبيعة، ولم تخل قصائده بالحديث عن الوطنيّة الصّادقة والإيمان.

-ديوان وحي الأربعين:

يعدّ من أكثر الدّواوين الّتي أظهرت نضج أشعار العقّاد وأغلب قصائده كتبها في الأربعين من عمره، ويظهر في هذا الدّيوان ما هو مختلف عن أشعاره السّابقة، وقد تطرّق فيه إلى قصائد تعنى بالتّأمّلات الحياتيّة، وأساليب المناجاة، والخواطر، والقصائد الوصفيّة، بالإضافة إلى القصائد الاجتماعيّة والقوميّة، وما يوضّح أسلوب العقّاد في التّجديد قصيدة الغزل.

-ديوان هديّة الكروان:

تعود تسميته لأثر طائر الكروان في وجدان العرب، يتناول العديد من قصائد الغزل، منها: قصيدة الحياء في الحبّ، قصيدة الخرافة الصّادقة، قصيدة شكوك العاشق، وغيرها.

هـ-نظريّات ومذاهب عبّاس محمود العقّاد، منها:

-الاهتمام بالقائل قبل القول: معرفة صاحب القول قبل القول أمر مهمّ، فالكلمة ومعناها تختلف من شخص لآخر ويقول في هذا:(إذا أحببت أن تفهم كلمة فافهم المتكلّم، لأنّها من معدنه أُخِذت، وبميزانه تعتبر وتوزن).

-نظريّات العقّاد حول الشّعر والشّاعر: يرى أنّ الشّعر مجموعة صفات خاصّة ومنعكسة عن الشّاعر وأنّه "ملكة إنسانيّة"لا تعبيريّة، حيث عرّفه العقّاد في كتابه"خلاصة اليوميّة والشّذور"أنّه:"فنّ توليد العواطف بواسطة الكلام"،أمّا الشّاعر فهو عنده:(كلّ عارف بأساليب توليد الشّعر من خلال هذه الواسطة)، فالعقّاد يركّز على ذات وعاطفة الشّاعر.

-نظريّة النّقد الصّحيح: يرى العقّاد أن النّقد لا يكون إلّا بمعرفة المنقود، معرفة تفضي إلى الملازمة حيث يهتمّ بالنّاقد والمنقود معا، فالنّاقد يتعايش مع شخصيّة المنقود ومعرفة جوانبه السّلبيّة والإيجابيّة وعليه بتقمّص شخصيّة المنقود.

و –وفاته:

توفي العقّاد في الثّاني عشر من شهر آذار عام 1964م، رحل تاركا خلفه إرثا أدبيّا يُحيي ذكراه وتدلّ الرّاغبين في السّير على نهجه.

فهرس

الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدّمة .....أ

الفصل الأوّل: لمحة عن الكتاب

أوّلا: لمحة عن الكاتب.....7

ثانيا: الشّكل الخارجي للكتاب.....7

ثالثا: الشّكل الدّاخلي للكتاب.....8

الفصل الثّاني: جوانب من المباحث اللّغويّة للكتاب

أوّلا: أقدم اللّغات.....11

ثانيا: عوامل الإعراب في اللّغة العربيّة.....17

ثالثا: الحروف العربية أصلح الحروف لكتابة اللّغات.....27

رابعا: الحروف و المعاني في اللّغة العربيّة.....31

خامسا: تيسير على قاعدة.....34

الفصل الثّالث: الدّراسة اللّغويّة للكتاب –من المقارنة اللّغوية–

أوّلا: الجملة الاسميّة.....40

ثانيا: الفاعل في اللّغة العربيّة بين المبني للمعلوم و المبني للمجهول.....44

ثالثا: مقارنة لغويّة في ضمائر الجنس و العدد.....52

رابعا: الصّفة في اللّغة العربيّة.....59

خامسا: الظّرف في اللّغة العربيّة.....64

سادسا: أوزان الشّعر العربي.....74

سابعا: اللّغة العربيّة بين لغات الحضارة العصريّة.....79

خاتمة.....86

ملحق.....89
فهرس المصادر والمراجع.....91
فهرس الموضوعات.....97
ملخّص

ملخّص:

ينبري العقّاد للدّفاع عن اللّغة العربيّة ضدّ بعض التخرّصات والشّبهات الّتي نسجها بعض المستشرقين. حيث ادّعوا عدم كفايتها لأداء رسالة نقل العلم والثّقافة؛ وذلك لا لضعف هذه اللّغة كما يؤكّد المؤلّف، بل لأخطاء وقع فيها الناظر للعربيّة، فيشير إلى نقص استعداد المترجمين الأوائل الذين تصدوا للتّرجمة، وكذلك يشير لأخطاء وقع فيها المستشرقون كان سببها التّعجّل في النظر للغة الضاد؛ ويتناول عراقة اللغة العربية وقدم الكتابة بها، كما يشير إلى صلاحية حروفها لكتابة اللغات ويعقد أيضا العديد من المقارنات بين العربية وباقي اللغات في بناء وتركيب الجمل واستخدام القواعد.

بالفرنسيّة:

Al-Akkad se lève pour défendre la langue arabe contre certaines spéculations et soupçons tissés par certains orientalistes. Où ils prétendaient qu'il ne suffisait pas de remplir la mission de transmission de la science et de la culture ;Cela n'est pas dû à la faiblesse de cette langue comme l'affirme l'auteur, mais à des erreurs commises par le spectateur de l'arabe, indiquant le manque de préparation des premiers traducteurs qui ont répondu à la traduction, et faisant également référence à des erreurs commises par les orientalistes, qui ont été provoquées par la précipitation à regarder la langue opposée ;et il traite de la noblesse de la langue arabe et de son écriture ancienne, ainsi que de la validité de ses lettres pour écrire des langues, et il fait également de nombreuses comparaisons entre l'arabe et d'autres langues dans la construction et la synthèse de phrases et l'utilisation de la grammaire.

بالإنجليزيّة:

Al-Akkad rises to defend the Arabic language against some speculations and suspicions woven by some orientalists. Where they claimed that it was not sufficient to fulfill the mission of transmitting science and culture; This is not due to the weakness of this language, as the author asserts, but to mistakes made by the viewer of Arabic, indicating the lack of readiness of the first translators who responded to the translation, and also referring to mistakes made by the orientalists, which was caused by haste to look at the opposing language; and he deals with the nobility of the Arabic language and the ancient writing in it, as well as the validity of its letters for writing languages, and it also makes many comparisons between Arabic and other languages in the construction and synthesis of sentences and the use of grammar.